تنزيه سيد الأنبياء ﷺ

عن مطاعن السفهاء

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

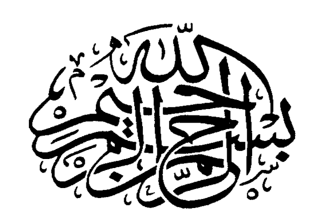
ياسر برهامي

إعداد

الدكتور ياسر عبد القوي



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



تنزيه
سيد ﷺ الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم





دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة
الشيخ الدكتور
ياسر برهامي

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد،،

فإن الله جعل حب النبيّ ﷺ وتعظيمه وتوقيره قضية فطرية في قلوب الخلق، إذ الإيمان به واتباعه مع توحيد الله عز وجل ركن الإسلام والإيمان الأول الذي بدونه لا يقبل الله من أحد صرفًا ولا عدلاً، بل لا يصح إيمان أحد بالله إلاّ إذا آمن بالنبي ﷺ، فمن كذبه أو أبى أن يتبعه فقد كذّب الله وكفر به، ولو كان من أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** (٢٩) ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال النبيّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلاّ أدخله النار**».

فحياة القلوب لا تحصل إلا بالإيمان به والتزام شريعته ﷺ؛ ولذا جعل الله أدلة نبوته كالماء والهواء مبذولة لكل أحد بمجرد طلبها، فيستحيل أن لا يصل مُنصف إلى معرفة صدق نبوته ﷺ إذا طلبها وسعى أدنى سعيٍ في معرفتها.

ولقد جعل الله سبحانه دعوته وصفاته وخلقه ﷺ وسيرته في الناس وإخراج الله به الناس من الظلمات إلى النور وما نُشر به من العلم والعدل والصلاح

والإصلاح والتزكية، والمعروف من بعض دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام.

والطاعن في النّبيّ ﷺ وفي دينه من أئمة الكفر المفسدين في الأرض كما قال تعالى: ﴿ **وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢)** ﴾ [التوبة: ١٢]، ونحن على يقين أن هذه المطاعن لا تؤثر ذرة في منزلته ومكانته ﷺ، بل تزيد من درجته، وتُعلي من رفعته؛ إذ قد رفع الله له ذكره وكفاه المستهزئين ونصره النصر المبين، لكن قد جعل الله ذلك ليبتلي عباده المؤمنين في نصرته حيًا وميتًا ﷺ، ولإظهار محبته، وليسطع نور السراج المنير في قلوبهم، ثم في قلوب من شاء هدايته من خلقه عبر العصور والأيام واختلاف العباد والبلاد.

وهذه الرسالة المختصرة التي أعدها أخونا الكريم الفاضل الدكتور/ ياسر عبد القوي في «**تنزيه سيد الأنبياء عن مطاعن السفهاء**» لهي جزءٌ يسير مما يجب علينا في نصرة النّبيّ ﷺ ونشر دعوته وأسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها، وأسأله سبحانه أن يرزقنا مرافقة نبيه ﷺ في الجنة وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه

ياسر برهامي

حفظه الله

مقدمة

نرجو من الله إتمام موضوعها

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقيم وجه صاحبها للدين حنيفاً وتبرئه من الإلحاد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل المرسلين وأكرم العباد.

أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره أهل الشرك والعناد، ورفع له ذكره فلا يذكر إلا معه كما في الأذان والتشهد والخطب والمجامع والأعياد، وكبت محاده وأهلك مشاقه وكفاه المستهزئين به ذوي الأحقاد وبتر شانئه ولعن مؤذيه في الدنيا والآخرة وجعل هوانه بالمرصاد واختصه من بين إخوانه المرسلين بخصائص تفوق التعداد، فله الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود ولواء الحمد الذي تحته كل حماد.

أما بعد، فإن الله هدانا بنبيه محمد ﷺ وأخرجنا به من الظلمات الى النور وآتانا ببركة رسالته ويمن سفارته خير الدنيا والآخرة. فأدنى ما له من الحق علينا، بل هو ما أوجبه الله من تعزيره ونصره بكل طريق، وإيثاره بالنفس والمال في كل موطن، وحفظه وحمايته من كل مؤذ، وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصر الخلق ولكن ليبلو بعضكم ببعض وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب[١].

لقد درج أعداء الإسلام منذ القديم على التشكيك في نبي الإسلام، والطعن في رسالته والنيل من كرامته، وينتحلون الأكاذيب والأباطيل، ليشككوا المؤمنين

---

(١) الصارم المسلول لإبن تيمية.

في دينهم، ويبعدوا الناس عن الإيمان برسالته ﷺ، وكان آخرها سخرية بعض الصحف الدنماركية والنرويجية من شخصه ﷺ باعتباره رجل عنف ونساء، ولا عجب أن نسمع مثل هذا البهتان والافتراء والتضليل في حق الأنبياء والمرسلين، فتلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١](١).

هذا وإن من أعظم الأعمال الذب عن الله ورسوله ﷺ وربما صار الجهاد أعظم الأعمال وذروة سنام الإسلام لأنه في الحقيقة ذب عن الله ورسوله ﷺ ونصر لله ورسوله ﷺ.

لقد جعل الله تعزير الله ورسوله ﷺ من أعظم الغايات ومن صفات سادات الأولياء من الصحابة ﷺ، فقال تعالى في سياق الحديث عن الفتح والنصر وأثناء مدحه تعالى لرسوله وللمؤمنين: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح: ٨-٩]، وليس هو من ضمن الغايات فحسب بل إن الله جعل نصر الله ورسوله ﷺ الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب وإنزال الحديد فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥] ولو تأمل متأمل لوجد أن الأعمال كلها صغيرها وكبيرها – دقها وجلها – تعود في النهاية إلى أنها نصر لله ورسوله ﷺ، من أجل هذا جعل الله الثواب العظيم منوطاً بالذب عن الله ورسوله ﷺ، فالناصرون لله ورسوله ﷺ المنافحون عن دين الله هم:

المنصورون في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، وهم الممكنون فقد قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ

---

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ للصابوني.

أُخْرِجُوا من دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، وهم المفلحون قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وهم المرحومون من بين العباد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]، وهم المؤيدون بروح القدس كما قال عليه والصلاة والسلام لحسان بن ثابت «يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس». رواه البخاري

هذا وإن تنزيه سيد الأنبياء ﷺ من تمام نصره وتعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ، ولا سيما في هذا الزمان الذي تطاول على جنابه عليه السلام الكثير من السفهاء لكي يشككوا المسلمين في دينهم عن طريق تشويه شخص نبيهم ﷺ وتجريده من مقام النبوة والعصمة.

هذا وقد أغنى الله رسوله عليه السلام عن نصرنا إياه فنصره في الدنيا والآخرة ولكن ليبلوا الله بعضكم ببعض وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب.

وإليك أيها القارىء الكريم - خطتي في هذا البحث المتواضع، لك صفوه وعلى كاتبه كدره. فما كان فيها من صواب فمن الله تعالى ورسوله ﷺ وما كا

من خطأ فمني ومن الشيطان. وما وجدت فيها من خير ومنفعة فادع الله لكاتبها وما وجدت غير ذلك فاستغفر له فلم ير في العيوب عيب مثل نقص القادرين على التمام.

خطة البحث:

بعد المقدمة ذكرت «جملة المطاعن في النبي ﷺ» وهي خمسة مطاعن.

١ـ باعتبار النساء.

٢ـ الجهاد (وما فيه من الإعتداء وإكراه الملل على اعتناق الإسلام والتحريض على القسوة في معاملة غير المسلمين).

٣ـ عدم ظهور المعجزات على يده ﷺ.

٤ـ زعم وإفتراء أنه ﷺ كان مذنباً(١).

٥ـ لم يرد في أى من النصوص لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد ذكر لمحمد ﷺ.

ثم ذكرت المطاعن بالتفصيل – وبعد كل مطعن، توليت الرد عليه أولاً من مصارد أهل الكتاب وغيرها ثم أتبعتها بالرد من مصادر الإسلام (الكتاب والسنة) – ولا ينكر على منكر ويستغرب استشهادي بما في الكتب المنزلة قبل الإسلام بدعوى أنها نسخت أوحرفت وغيرت. فإن العلماء الأجلاء أوجبوا الإستدلال بمصادر أهل الكتاب لتأييد الحق ورد شبهات المعترضين. فقد سئل الشيخ محمد رشيد رضا عن مطالعة كتب الملل غير الإسلامية. وهذا نص السؤال: «**ما هو حكم الله فيمن طالع الكتب السماوية الأخرى مثل التوراة، بقصد الإحاطة بما جاء في غير شريعتنا؟ وهل كان النهى عن قراءتها عاماً؟** إذا سلمنا ذلك تكون الشعوب غير الإسلامية ممتازة على المسلمين بعدم منع أنفسهم

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.

إحالة النظر في القرآن الشريف، فيستفيدون بما جاء فيه من الآيات البينات، ويحتجون به علينا عند اللزوم، ونحن لا نقدر أن نقابلهم بالمثل، لأن كتبهم مغلقة في وجوهنا، أفيدونا بما علمكم الله من العلم ولكم أجران: أجر المفيد، وأجر المصيب.

فأجاب بما نصه:

«الأمور بمقاصدها، فمن يطالع كتب الملل بقصد الإستعانة على تأييد الحق ورد شبهات المعترضين ونحوه وهو مستعد لذلك، فهو عابد لله تعالى بهذه المطالعة، وإذا أحتيج الى ذلك كان فرضاً لازماً، ومازال علماء الإسلام في القديم والحديث يطالعون ويطلعون على كتب الملل ومقالاتهم ويردون عليها بما يستخرجون منها من الدلائل الإلزامية.... إلى أن قال رحمه الله: نعم، إنه ينبغي منع التلامذة والعوام من قراءة هذه الكتب لئلا تشوش عليهم عقائدهم وأحكام دينهم، فيكونوا كالغراب الذي حاول أن يتعلم مشية الطاووس، فنسى مشيته، ولم يتعلم مشية الحجل»[١].

هذا ونيتي - والله أعلم بما في الصدور - من هذا البحث أن ننال شرف الدفاع والذب عن رسول الله ﷺ وأسأل الله لي ولقارئي الرسالة من المسلمين أن يكتب لهم ذلك الشرف فننال بذلك شفاعة النبي ﷺ والاجتماع به والشرب من حوضه الكريم، وأما غير المسلمين فنسأل الله أن يهديهم للحق والصواب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

الدكتور ياسر عبد القوي

---

(١) فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا.



المطعن الأول
باعتبار النساء

وهو على خمسة أوجه:

الأول/ أن المسلمين لا يجوز لهم أزيد من أربع زوجات ومحمد ﷺ لم يكتف بها، بل أخذ تسعاً لنفسه، وأظهر حكم الله في حقه أن الله أجازنى أن أتزوج بأزيد من أربع.

الثانى/ أن المسلمين يجب عليهم العدل بين نسائهم، وأظهر حكم الله في حقه أن هذا العدل ليس بواجب عليه.

الثالث/ أنه دخل بيت زيد بن حارثه رضي الله عنه، فلما رفع الستر وقع نظره على زينب بنت جحش رضي الله عنها، فوقعت في نفسه، وقال: سبحان الله، فلما اطلع زيد على هذا الأمر طلقها، فتزوج بها، وأظهر أن الله أجازنى للتزوج.

الرابع/ أنه خلا بمارية القبطية رضي الله عنها في بيت حفصة رضي الله عنها في يوم نوبتها فغضبت حفصة رضي الله عنها فقال محمد ﷺ حرمت مارية على نفسى، ثم لم يقدر أن يبقى على التحريم، فأظهر أن الله أجازه لإبطال اليمين بأداء الكفارة.

الخامس/ أنه يجوز في حق متبعيه إن مات أحد منهم أن يتزوج الآخر زوجته بعد إنقضاء عدتها، وأظهر حكم الله في حقه أنه لا يجوز لأحد أن يتزوج زوجة من زوجاته بعد مماته.

وهذه الوجوه الخمسة منتهى جهدهم في المطعن باعتبار النساء[١] ومقصدهم من ذلك قاتلهم الله ولعنوا بما قالوا أنه عليه السلام كان رجلاً شهوانياً يسير

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.

وراء ملذاته وشهواته وفرق بينه وبين عيسى عليه السلام حيث كان يجاهد نفسه ويغالب هواه وهو يسير مع هواه ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، حقاً إنهم لحاقدون كاذبون، فما كان محمد عليه الصلاة والسلام رجلاً شهوانياً.... إنما كان رسولاً إنسانياً تزوج كما يتزوج البشر، ليكون لهم قدوة في سلوك الطريق السوى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

لم يكن ﷺ بدعاً من الرسل، حتى يخالف سنتهم، أو ينقض طريقتهم، فالرسل الكرام قد حكى القرآن عنهم بقول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، فعلام إذا يثيرون هذه الزوابع الهوجاء في حق خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ؟؟؟ ولكن كما يقول القائل:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وصدق الله حيث يقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ونحن إذ ننقل هذا الكلام الكفر عنه ﷺ من كلام أعداء الإسلام وممن راج عليهم مقولتهم من المنتسبين للإسلام، ننقله لنفنده وندحضه ونقل الكفر ليس بكفر. وقد كان حذيفة رضي الله عنه يسأل عن الشر مخافة أن يدركه كما في البخارى وقد قال القائل «أسأل عن الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعلم الشر من الخير يقع فيه» ولا سيما في هذا الزمان الذى يتمكن فيه أعداء الإسلام من إيصاله للمسلمين عبر ألف طريق وطريق سواء في القنوات أو المجلات أو شبكات المعلومات. فأدنى حق له علينا عليه الصلاة والسلام أن نعزره وننصره والله قد أغنى رسوله بنصره إياه ولكن ليبلوا بعضكم ببعض وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب.

الرد
من مصادر أهل الكتاب وهدى الأنبياء

لم يكن النبي محمد بن عبد الله ﷺ هو أول من أحدث تعدد الزوجات أو التسرى بما ملكت اليمين، فسوف يعلم القارئ عندما يطالع نصوص أهل الكتاب الآتية أن تعدد الزوجات والتسرى بما ملكت اليمين كان أمراً مشتهراً بين الأنبياء من لدن إبراهيم عليه السلام ومن بعده من أنبياء بني إسرائيل، فلم يكن النبي ﷺ بدعاً من الرسل ولم يأتى بغريب عليهم.

وإليكم سيرة موجزة عن التعدد لدى الأنبياء عند أهل الكتاب:

تزوج بسارة ثم بهاجر في حياة سارة وهو كان خليل الله وكان الله يوحى إليه ويرشده الى أمور الخير، فلو لم يكن النكاح الثانى جائزاً لما أبقاه عليه، بل أمره بفسخه وحرمته.

تزوج بأربع نسوة: ليا وراحيل وبلها وزلفا، فالأوليان منهما أختان ابنتا لابان خاله، والأخريتان جاريتان والجمع بين الأختين كان جائزاً في شريعتهم ثم حرم في شريعة موسى عليه السلام. فلو كان التزوج بأكثر من امرأة واحدة حراماً لزم أن يكون أولاده من تلك الأزواج أولاد حرام - والعياذ بالله - وكان الله يوحى إليه ويرشده الى أمور الخير، فكيف يتصور أن يرشده في أمور خسيسة ولا يرشده في هذا الأمر العظيم.

تزوج عليه السلام بست زوجات ثم كمل السابعة بزواجه من ميخال بنت شاول وهو أول ملوك بنى إسرائيل وهذا مذكور في الآية الثالثة عشر من الباب الخامس من سفر صموائيل الثانى (وأخذ أيضاً داود نسواناً وسرارى من أورشليم من بعد أن أتى من حبرون وولد لداود أيضاً بنون وبنات) وقول الله تعالى في حق داود عليه السلام على لسان ناثان النبي عليه السلام في سفر صموئيل الثانى

أيضاً « ووهبت لك بيت مولاك ونساء سيدك اضطجعت في حضنك ووهبت لك بيت إسرائيل ويهوذا وإذا كانت هذه قليلة فأزيدك مثلهم ومثلهن »

وتزوج في آخر عمره شابة عذراء أخرى اسمها « أبيشاغ الشونامية » وكانت جميلة جداً كما هو مصرح به الباب الأول من سفر السلاطين الأول .

سليمان عليه السلام : تزوج بألف امرأة، سبعمائة منهن حرات من بنات السلاطين، وثلاثمائة جوارى (سفر الملوك) . وأصدق من هذا قوله ﷺ على لسان سليمان « **لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله** »

[رواه البخارى] .

هذا ولا يفهم من موضع من مواضع التوراة حرمة التزوج بأزيد من إمرأة واحدة، ولو كان حراماً لصرح موسى بحرمته كما صرح بسائر المحرمات، وشدد في إظهار تحريمها، بل يفهم جوازه من مواضع، وفي التوراة أن نساء أبكاراً وقعوا غنيمة في حروب بنى إسرائيل مع أعدائهم وكانوا إثنين وثلاثين ألفاً، وقسمت على بنى إسرائيل سواء كانوا ذوى زوجات أو لم يكونوا . ولا يوجد فيه تخصيص العزب .

وفي الباب الحادي والعشرين من سفر التثنية هكذا « وإذا خرجت الى القتال مع أعدائك وأسلمهم الرب إلهك في يدك وسبيتهم ورأيت في جملة المسبيين امرأة حسنة وأحببتها وأردت أن تتخذها لك إمرأة فأدخلها الى بيتك وهى تحلق رأسها وتقص أظفارها وتنزع عنها الرداء الذى سبيت به وتجلس في بيتك وتبكى على أبيها وأمها مدة شهر ثم تدخل إليها وترقد معها ولتكن لك إمرأة . . . . . . إلى أن قال « وإن كانت لرجل امرأتان الواحدة المحبوبة والأخرى مبغوضة » .

فقوله « في جملة المسبيين . . . . . إلخ »، لا يختص بمخاطب لا تكون له زوجة، بل أعم، سواء كانت له زوجة أو لم تكن .

ودلالة قــولـه « وإن كـــان لرجـل امــرأتان الـواحـــدة مـــحـــبـــوبة والأخـــرى مبـغوضة. . . .ألـخ » على ما ادعينا ظاهرة غـير محتاجة إلى البيان، فثبت أن كثرة الأزواج ما كانت محرمة في شريعة موسى عليه السلام(١).

المسيح عليه السلام: في إنجيل متى يقول المسيح عليه السلام لأصحابه « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة ووصايا الأنبياء قبلى، وما جئت ناقضاً بل متمماً، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى »(٢).

ولم يرد في النصرانية نص صريح بمنع التعدد، ليس في الأناجيل نص على ذلك، بل جاء في بعض رسائل بولس ما يفيد أن التعدد جائز، فقد قال « يلزم أن يكون الأسقف زوجاً لزوجة واحدة »، ففي إلزام الأسقف وحده دليل على جوازه لغيره(٣).

لو أراد متعسف أن يعترض على المسيح عليه السلام والحواريين بمثل اعتراضهم على النبي ﷺ لفعل واستدل بما في الإنجيل ولذكر ما هو أشنع:

في الباب السابع من إنجيل لوقا هكذا: « ٣٣- لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان (٣٤) جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة (٣٦) وسأله واحد من الفريسين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي وإتكأ (٣٧) وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكىء في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب (٣٨) ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب (٣٩) فلما رأى الفريسي الذى دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلاً: لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التى تلمسه وما هى. إنها خاطئة (٤٤) ثم التفت إلى المرأة

---

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.

(٢) هداية الحيارى لإبن القيم.

(٣) محاسن تعدد الزوجات لهاشم ابن حامد الرفاعي.

وقال لسمعان أتنظر هذه المرأة. إني دخلت بيتك وماء لأجل رجلي لم تعط. وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع ومسحتها بشعر رأسها (٤٥) قبله لم تقبلني. وأما هي فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلي (٤٦) بزيت لم تدهن رأسي. وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلي (٤٧) من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً. والذي يغفر قليل يحب قليلاً ثم قال لها: مغفورة لك خطاياك (٤٩) فابتدأ المتكئون معه يقولون في أنفسهم من هذا الذي يغفر خطايا أيضاً (٥٠) فقال للمرأة إيمانك قد خلصك. اذهبي بسلام».

وفي الباب الثامن من إنجيل لوقا «بعد ذلك أخذ يجول في كل مدينة وقرية واعظاً ومبشراً بملكوت الله وكان يرافقه تلاميذه الإثنا عشر، وبعض النساء اللواتي كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض، وهن: مريم المعروفة بالمجدلية التي طرد منها سبع شياطين، ويونا زوجة حورس وكيل هيرودس، وسوسنة، وغيرهن كثيرات ممن كن يساعدنه بأموالهن[١].

تعليق:

قال الشيخ رحمة الله هندي في إظهار الحق:

● **الخمر أم الخبائث**: وهذا ظاهر بالإضافة إلى أنها قبيحة عند الله وسبب للضلال والكفر والهلاك، ولا يناسب شربها للأتقياء، وإزاله العقل من خواصها اللازمة سواء كان الشارب نبياً أو غير نبي وقد جاء تحريمها على لسان أنبياء بني إسرائيل[٢].

● **الإختلاط بالنساء والأمارد**:

إختلاط النساء الشواب الأجنبيات مع الرجال الشبان آفة شديدة لا ترجى العصمة لا سيما إذا كان الرجل شاباً عازباً شارب الخمر، والمرأة فاحشة محبوبة،

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي، ودار الكتب المقدس (العهد الجديد).
(٢) إظهار الحق لرحمة الله.

وهى تدور معه، وتخدمه بمالها ونفسها وفي سفر صموئيل الثانى ذكر عن داود أن نظرة واحدة إلى المرأة الأجنبية بلغته إلى ما بلغ مع أنه كان كثير الأزواج وجاوز الخمسين، وفي سفر الملوك الأول ذكر أن سليمان عليه السلام قد زال عقله بسبب النساء وجعلنه مرتداً وثنياً في شيخوخته بعد ما كان نبياً صالحاً في شبابه.

وفي سفر الأمثال في الباب السادس: «٢٤-لتحفظك من امرأة ردية ومن لطافة لسان غريبة لا يشتهى قلبك جمالها ولا تقتنصك غمزاتها فإن قيمة الزانية مقدارها خبزة واحدة وامرأة الرجل تصطاد النفس الكريمة أيستطيع رجل يخفي في حجره ناراً وما تحرق ثيابه أم يتمشا على حجر النار وما تحترق رجلاه، هكذا من يدخل إلى امرأة قريبة لا يتبرأ إذا لمسها».

هذا والإختلاط بالأمارد آفة بل أخوف من اختلاط النساء وأشنع، فلو خاض متعسف واعترض لقال: إن عيسى عليه السلام لما كان شارب الخمر كان معاصروه يقولون: إنه أكول شريب خمر، وكان شاباً عزباً فإذا بلت مريم قدميه بدموعها، ولم تكف عن تقبيلها منذ دخلت، وكانت تمسحها بشعر رأسها، وكانت في هذا الوقت فاحشة مشهورة، فكيف نسى عيسى عليه السلام حال أسلافه داود وسليمان عليهما السلام؟ وكيف لم يعلم أن قيمتها مقدار خبزة واحدة؟ وأن من لمسها لا يتبرأ كما لا يمكن أن يخفي رجل في حجره ناراً وما تحترق ثيابه، أو يمشى على حجر النار وما تحترق رجلاه؟

وكان يحب مريم، ويدور هو واثنا عشر تلاميذه، ومعهم نساء كثيرة يخدمنه من أموالهن، فكيف يتصور أنه لم تزل أقدامهن مع هذه المخالطة الشديدة كما زل قدم روبيل حتى زنى بزوجة أبيه (كما في سفر التكوين)، وقدم يهوذا حتى زنى بكنته (سفر التكوين أيضاً)، وقدم داود عليه السلام حتى زنى بامرأة أوريا (سفر صموئيل الثانى). هذا واحتمال مزلة أقدام الحواريين أقوى لأنهم ما كانوا كاملي الإيمان قبل صعود المسيح عليه السلام على ما أقر علماؤهم، فلا يظن في حقهم العصمة

من الزنا، ألا ترى أن الأساقفة والشمامسة من فرقة الكاثوليك لا يتزوجون، ويدعون أن هذا الأمر من العفاف، ويفعلون ما لا يفعله الفاسق الغنى من أهل الدنيا، كأن كنائسهم بيوت الفاحشات الزانيات.

ثم استطرد الشيخ رحمت الله هندى قائلاً «واعلم أن ما كتبت في هذا الأمر كتبته إلزاماً، وإلا فإني أتبرأ من أمثال هذه التقريرات، ولا أعتقد أمراً منها في حق عيسى عليه السلام، ولا في حق حوارييه الأمجاد[١].

تاريخ الأمم السابقة مع التعدد:

يقول المستشرق الفرنسى المسلم ناصر الدين دينيه في كتابه «محمد رسول الله ﷺ» (الواقع يشهد بأن تعدد الزوجات شيء ذائع في سائر أرجاء العالم، وسوف يظل موجوداً مهما تشددت القوانين في تحريمه)[٢].

عرف التعدد في شريعة حمورابى ووجد منقوشاً في أحد الأحجار الأثرية في مدينة «صور». قانونه في تنظيم الأسرة وكان من أهم ما فيه مادة تجيز التعدد. وكذا عرف التعدد في اليونان وعند الرومان والآشوريين والهنود البرهمين والمصريين والإيرانيين وعرف عن الصقالبة والسلافيين التى تنتمى اليها روسيا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا.

كما أنه تفشى في أوروبا عند «الفولو» في زمن «سيزار»، وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الإسلام «كشرلمان» ملك فرنسا الذى كان معاصراً للخليفتين المهدى والرشيد العباسيين[٣].

العرب في الجاهلية:

كان التعدد معروفاً عندهم ولم تكن له ضوابط معينة ولا حدود معروفة فجاء الإسلام وهذبه وحدده وبين أسسه وشروطه.

---

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.
(٢) المرأة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعي.
(٣) محاسن تعدد الزوجات لهاشم بن حامد الرفاعي.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه، فأمره النبي ﷺ «أن يتخير أربعة منهم» أخرجه مالك وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه(*).

وبهذا.... هل رماه المشركون بهذا المطعن من جهة النساء؟

الجواب لا، مع أنهم رموه بكل التهم من ساحر وكذاب ومفتر ومجنون ــ حاش أن يقولوا إنه مزواج لأن ذلك كان ذائعاً لديهم.

من واقعه ﷺ:

هناك نقطتان جوهريتان، تدفعان الشبهة عن النبي ﷺ وتلقمان الحجر لكل مفتر أثيم......

أولاً / لم يعدد الرسول الكريم ﷺ زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة، أى بعد أن جاوز من العمر الخمسين.

ثانياً / جميع زوجاته الطاهرات ثيبات «أرامل» ما عدا عائشة رضي الله عنها.

فمن هاتين النقطتين ندرك – بكل بساطة – تفاهة هذه التهمة، وبطلان ذلك الإدعاء، الذى ألصقه به المستشرقون الحاقدون[1].

● **شبهة:** قد ورد في حديث أنس في النسائى أنه ﷺ قال: «**حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[2].

الجواب:

١- قال السندى: قوله «**حبب إلى من الدنيا النساء**» قيل إنما حبب إليه النساء لينقلن عنه ما لا يطلع عليه الرجال من أحواله ويستحى من ذكره وقيل حبب إليه زيادة في الإبتلاء في حقه حتى لا يلهو بما حبب إليه من النساء عما

(*) قال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح.
(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول للصابوني.
(٢) صححه ابن القيم في إغاثة اللفهان.

كلف به من أداء الرسالة فيكون ذلك أكثر لمشاقه وأعظم لأجره وقيل غير ذلك وأما الطيب فكأنه يحبه لكونه يناجى الملائكة وهم يحبون الطيب وأيضاً هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج وكمال الخلقة وهو ﷺ أشد اعتدالاً من حيث المزاج وأكمل خلقة وقوله: «**قرة عينى في الصلاة**» «إشارة أن تلك المحبة غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى حتى إنه بمناجاته تقر عيناه وليس له قريرة العين فيما سواه فمحبته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى كما قال: «**لو كنت متخذاً أحداً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن**» وفيه إشارة إلى أن محبة النساء والطيب إذا لم يكن مخلاً لأداء حقوق العبودية بل للانقطاع إليه تعالى يكون من الكمال وإلا يكون من النقصان[١].

٢- قال في فيض القدير: «**قوله حبب إلى من دنياكم النساء....**»

لم يضف الحب لنفسه فما قال أحب تحقيراً لأمرها لأنه أبغض الناس فيها لأنها ليست من دنياه بل من آخرته كما ظن إذ كل مباح دنيوى ينقلب طاعة بالنية فلم يبق لتخصيصه حينئذ وجه ولم يقل من هذه الدنيا لأن كل واحد منهم ناظر إليها وإن تفاوتوا فيه وأما هو فلم يلتفت إلا إلى ما ترتب عليه مهم دينى فحبب إليه (النساء) والإكثار منهن لنقل ما بطن من الشريعة مما يستحيا من ذكره من الرجال ولأجل كثرة سواد المسلمين ومباهاته بهم يوم القيامة (والطيب) لأنه حظ الروحانيين وهم الملائكة ولا غرض لهم في شيء من الدنيا سواه فكأنه يقول حبى لهاتين الخصلتين إنما هو لأجل غيرى كما يوضحه قول الطيبي جيء بالفعل مجهولاً دلالة على أن ذلك لم يكن من جبلته وطبعه و إنما هو مجبول على هذا الحب رحمة للعباد ورفقاً بهم بخلاف الصلاة فإنها محبوبة له بذاتها ومنه قوله أرحنا يا بلال بالصلاة فلذلك قال: «**وجعلت قرة عينى في الصلاة**» ذات الركوع والسجود وخصها لكونها محل المناجاة ومعدن المصافاة.

---

(١) حاشية السندي على النسائي.

وقد قدم النساء للإهتمام بنشر الأحكام وتكثير سواد الإسلام وأردفه بالطيب لأنه من أعظم الدواعى لجماعهن المؤدى إلى تكثير التناسل في الإسلام مع حسنه بالذات وكونه كالقوت للملائكة الكرام.

فالحديث جمع بين أفضل أمور الدنيا وأفضل أمور الدين وفيه ضم الشيء إلى نظيره، وعبر في أمر الدين بعبارة أبلغ مما عبر به، اقتصر في أمر الدنيا على مجرد التحبب وقال في أمر الدين جعلت قرة عينى في الصلاة فإن في قرة العين من التعظيم ما لا يخفى(١).

فلو كان المراد من الزواج الجرى وراء الشهوة، أو السير مع الهوى لتزوج في سن الشباب «لا في سن الشيخوخة» ولتزوج الأبكار الشابات، لا الأرامل المسنات. والصحابة رضي الله عنهم يفدون رسول الله ﷺ بمهجهم وأرواحهم، ولو أنه طلب الزواج لما تأخر أحد منهم عن تزويجه بمن شاء من الفتيات الأبكار الجميلات، فلماذا لم يعدد الزوجات في مقتبل العمر، وريعان الشباب؟ ولماذا ترك الزواج بالأبكار، وتزوج الثيبات؟ بالإضافة الى أنه تزوج خديجة في سن الأربعين وهى ثيب وهى أول عهده بالنساء بينما هو في سن الخامسة والعشرين ولم يتزوج عليها في حال حياتها رضي الله عنها.

إن هذا - بلا شك - يدفع كل تقول وإفتراء ويدحض كل شبهة وبهتان ويرد على كل أفاك أثيم يريد أن ينال من قدسية الرسول ﷺ، أو يشوه سمعته الطاهرة. فما كان زواج الرسول بقصد «الهوى» أو «الشهوة»، وإنما كان لحكم جليلة، وغايات نبيلة، وأهداف سامية سوف يقر الأعداء بنبلها وجلالها إذا ما تركوا التعصب الأعمى، وحكموا منطق العقل والوجدان، وسوف يجدون في هذا الزواج «المثل الأعلى» في الإنسان الفاضل الكريم، والرسول النبي الرحيم، الذى يضحى براحته في سبيل مصلحة غيره، وفي سبيل مصلحة الدعوة والإسلام(٢).

(١) فيض القدير للمناوي.
(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول عليه السلام للصابوني.

الرد
من النبع الصافي والمعين النقي - الكتاب والسنة

فلنبدأ أولاً بالحكمه من تعدد زوجاته ﷺ ثم لنفرد تفصيلاً لزواجه من زينب ﵂.

الحكم من تعدد زوجات الرسول ﷺ (١):

إن الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ كثيرة ومتشعبة، ويمكننا أن نجملها فيما يلي:

أولاً/ الحكمة التعليمية ‏ ‏ ‏ ثانياً/ الحكمة التشريعية

ثالثاً/ الحكمة الإجتماعية ‏ ‏ ‏ رابعاً/ الحكمة السياسية

أولاً/ الحكمة التعليمية:

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هي تخريج بضع معلمات للنساء، يعلمنهن الأحكام الشرعية. فالنساء نصف المجتمع، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال.... وقد كان الكثيرات منهن يستحين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية، وخاصة المتعلقة بهن، كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية، وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان - كما تروي كتب السنة أشد حياء من العذراء في خدرها... فما كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يكنى في بعض الأحيان، ولربما لم تفهم المراة عن طريق «الكناية» مراده ﵇.

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ للصابوني.

تروى السيدة عائشة لله أن امرأة من الأنصار، سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فعلمها ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها: «خذى فرصة ممسكة [أى قطعة من القطن بها أثر الطيب] فتطهرى بها....» قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «تطهرى بها»، قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ فقال: «سبحان الله تطهرى بها».

قالت عائشة ﵂: فاجتذبتها من يدها، فقلت لها: ضعيها في مكان كذا وكذا، وتتبعى بها أثر الدم، وصرحت لها بالمكان الذى تضعها فيه. فكان صلوات الله وسلامه عليه يستحى من مثل هذا التصريح وهكذا كان القليل أيضاً من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها، وعلى حيائها، فتجاهر النبي ﷺ بالسؤال عما يقع لها.

فآخذ مثلاً لذلك حديث (أم سلمة) المروى في الصحيحين وفيه تقول: « جاءت أم سليم (زوج أبى طلحة) الى رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن الله لا يستحى من الحق... هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال لها النبي ﷺ: «نعم إذا رأت الماء». فقالت أم سلمة: لقد فضحت النساء، ويحك أوتحتلم المرأة؟ فأجابها النبي الكريم بقوله: «إذاً فبم يشبهها الولد؟»».

وهكذا مثل هذا الأسئلة المحرجة، كان يتولى الجواب عنها فيما بعد زوجاته الطاهرات... ولهذا تقول السيدة عائشة ﵂: « رحم الله نساء الأنصار، ما منعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(١). وكانت المرأة منهن تأتى إلى السيدة عائشة في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام، فكان نساء الرسول خير معلمات موجهات لهن، وعن طريقهن تفقه النساء في دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السنة المطهرة ليست قاصرة على قول النبي ﷺ فحسب، بل هي تشمل قوله، وفعله، وتقريره.... وكل هذا من التشريع الذي

(١) التمهيد لإبن عبد البر.

يجب على الأمة اتباعه، فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله ﷺ في المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتى أكرمهن الله فكن أمهات المؤمنين وزوجات لرسوله الكريم في الدنيا والآخرة؟

لا شك أن لزوجاته الطاهرت رضوان الله عليهن أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره، وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومحدثات نقلن هديه عليه السلام، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء. ومن أوضح الأمثلة عائشة رضي الله عنها.

ثانياً/ الحكمة التشريعية:

وهذه الحكمة ظاهرة تدرك بكل بساطة، وهى أنها كانت من أجل ابطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة، ونضرب مثلاً (بدعة التبني) التى كان يفعلها العرب قبل الإسلام، فقد كانت ديناً متوارثاً عندهم. يتبنى أحدهم ولداً ليس من صلبه، ويجعله في حكم الولد الصلبى، ويتخذه ابناً حقيقياً له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال، في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح، وإلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه وكان ديناً تقليدياً متبعاً في الجاهلية.

وما كان الإسلام ليقرهم على باطل، ولا ليتركهم يتخبطون في ظلمات الجهالة، فمهد لذلك بأن ألهم رسوله ﷺ أن يتبنى أحد الأبناء وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه وذلك قبل البعثة النبوية. وبعد ذلك زوجه ﷺ بابنة عمه (زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها) وقد عاشت معه مدة من الزمن، ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقة بينهما فكانت تغلظ له القول وترى أنها أشرف منه لأنه كان عبداً مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول ﷺ وهى ذات حسب ونسب. ولحكمة يريدها الله طلق زيد زينب وأمر رسوله ﷺ أن يتزوجها ليبطل (بدعة التبنى) ويقيم أسس

الإسلام ويأتي على الجاهلية من قواعدها. وسوف نفرد لها إن شاء الله فصلاً آتياً لبيان مزيد من الحكم والفوائد إن شاء الله.

ثالثاً/ الحكمة الإجتماعية:

وهذه تظهر بوضوح في تزوج النبي ﷺ بابنة الصديق الأكبر (أبي بكر) رضي الله عنه ووزيره الأول... ثم بابنة وزيره الثاني الفاروق (عمر) رضي الله عنه وأرضاه... ثم باتصاله عليه السلام بقريش اتصال مصاهرة ونسب، وتزوجه العديد منهن، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق، وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقي حول دعوته في إيمان، واكبار، وإجلال.

لقد تزوج النبي ﷺ بالسيدة (عائشة) بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدراً لديه، الذى كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدم نفسه وروحه وماله، في سبيل نصرة دين الله، والذود عن رسوله، وتحمل ضروب الأذى في سبيل الإسلام – حتى قال عليه السلام – كما في الترمذى – مشيداً بفضل أبى بكر:

«ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافيه الله تعالى بها يوم القيامة.... وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر. وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة إلا أبا بكر فإنه لم يتلعثم، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله»

[رواه الترمذى][1][*].

فلم يجد رسول الله ﷺ مكافأة لأبى بكر في الدنيا، أعظم من أن يقر عينه بهذا الزواج بابنته، ويصبح بينهما (مصاهرة) وقرابة تزيد في صداقتهما وترابطهما الوثيق.

كما تزوج صلوات الله وسلامة عليه بالسيدة (حفصة بنت عمر) رضي الله عنهما فكان

---

(١) سنن الترمذي.

(*) له طرق بمعناه في مسلم وابن ماجه وأحمد وابن حبان.

ذلك قرة عين لأبيها عمر على إسلامه وصدقه وإخلاصه وتفانيه في سبيل هذا الدين. وعمر هو بطل الإسلام الذى أعز الله به الإسلام والمسلمين ورفع به منار الدين، فكان اتصاله ﷺ به عن طريق المصاهرة، خير مكافأة له على ما قدم في سبيل الإسلام، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهره، فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرف لهما، بل أعظم مكافأة ومنة، ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرف أعلى من هذا الشرف، فما أجل سياسته وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلى رضي الله عنهما بتزويجهما ببناته.... وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه، وخلفاؤه من بعده في نشر ملته، وإقامة دعوته، فما أجلها من حكمة، وماأكرمها من نظرة.

رابعاً/ الحكمة السياسية:

لقد تزوج النبي ﷺ ببعض النسوة، من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله.... فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة، أو عشيرة، يصبح بينه وبينهم قرابة و(مصاهرة) وذلك بطبيعته يدعوهم الى نصرته وحمايته، ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتتضح لنا الحكمة، التى هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج.

١- تزوج ﷺ بالسيدة (جويرية بنت الحارث) سيد بنى المصطلق وكانت قد أسرت مع قومها وعشريتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر، أرادت أن تفتدى نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال فعرض عليها أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا؟ (أى أنهم في الأسر)، فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو، وهذه الشهامة والمروة أسلموا جميعاً، ودخلوا في دين الله، وأصبحوا من المؤمنين.

فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها، لأنه كان سبباً لإسلامهم وعتقهم، وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

«أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق، فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس، فأعطى الفرس سهمين والرجل سهماً، فوقعت (جويرية بنت الحارث) في سهم ثابت بن قيس، فجاءت الى الرسول فقالت: يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت، وقد كاتبنى زيد بن ثابت على تسع أواق، فأعني على فكاكي، فقال عليه السلام: «**أو خير من ذلك**»، فقالت: ما هو؟ فقال: «**أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك**»..... فقالت: نعم يارسول الله. فقال ﷺ: «**قد فعلت**»[1].

وخرج الخبر الى الناس فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يسترقون؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبى بنى المصطلق، فبلغ عتقهم مائة بيت، بتزوجه عليه السلام بنت سيد قومه، وتحقق الأمل البعيد المنشود من ورائه فأسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية، وأسلم أبيها الحارث وعاد هذا الزواج على المسلمين بالبركة والقوة والدعم المادى والأدبى معاً للإسلام والمسلمين.

أصبحت جويرية بنت الحارث زوجة لسيد المرسلين وأماً للمؤمنين، فكانت رضي الله عنها عالمة بما تسمع، وعاملة بما تعلم، فقيهة عابدة، تقية ورعة، نقية الفؤاد، مضيئة العقل، مشرقة الروح، تحب الله ورسوله وتحب الخير للمسلمين.

وكانت رضي الله عنها تروى من حديث رسول الله ﷺ، ناقلة لحقائق الدين من خزائنها عند من تنزلت عليه ﷺ، يرويه عنها سدنة العلم من علماء الصحابة رضي الله عنهم، لينشروه في المجتمع المسلم علماً وعملاً، وفي عامة المجتمع الإنسانى دعوة وهداية[2].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري.

(٢) محمد رسول الله لمحمد صادق عرجون.

لقد حدث عن جويرية رضي الله عنها إبن عباس، وعبيد بن السباق، وكريب مولى ابن عباس ومجاهد، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدى، بلغ مسندها في كتاب بقى بن مخلد سبعة أحاديث[١]. منها أربعة في الكتب السنية، عند البخارى حديث، وعن مسلم حديثان، وقد تضمنت مروياتها أحاديث في الصوم وحديث في الدعوات وفي الزكاة، كما روت في العتق، وبسبعة أحاديث شريفة خلدت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث - رضي الله عنها - اسمها في عالم الرواية، لتضيف إلى شرف صحبتها للنبي ﷺ وأمومتها للمسلمين، تبليغها الأمة سنن المصطفي ﷺ ما تيسر لها ذلك[٢].

وكانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث - رضي الله عنها - من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، القانتات الصابرات في مجال مناجاة الله تعالى وتحميده وتقديسه وتسبيحه، فهذه أم المؤمنين جويرية تحدثنا عن ذلك فتقول: إن النبي ﷺ خرج عندها بكرة حين صلى الصبح وهى في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال: «**ما زلت على الحال التى فارقتك عليها؟**» قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**» [أخرجه مسلم].

٢- زواجه ﷺ «بصفيه بنت حيي بن أخطب» رضي الله عنها - وكانت صفية رضي الله عنها قد أسرت في غزوة خيبر بعد قتل زوجها ووقعت (كما في صحيح البخارى) في سهم أحد من أصحاب النبي ﷺ وهو دحية الكلبى رضي الله عنه فجاء رجل الى النبي ﷺ فذكر له شأنها وقال أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير، إنها لا تصلح إلا لك، فقال: ادعو بها، فلما نظر إليها قال: خذ جارية من السبى غيرها، ففعل وخيرها النبي ﷺ بين أمرين:

(١) دور المرأة في خدمة الحديث لآمال قرداش.
(٢) المصدر السابق.

(أ) إما أن يعتقها ويتزوجها ﷺ.

(ب) وإما أن يطلق سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت رضي الله عنها أن يعتقها وتكون زوجة له، وذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته، وحسن معاملته، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس.

وبهذا الزواج الاختياري أصبحت صفيه بنت حيي بن أخطب (سيد يهود بنى النضير وألد أعداء النبي ﷺ) إحدى أمهات المؤمنين، تتساوى في جميع الحقوق مع عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وكل زوجات النبي ﷺ[١].

تفنيد تهمة خبيثة[٢]:

هذا الزواج جعل بعض مرضى النفوس (وخاصة أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم) يتهمون الرسول ﷺ بأنه ما استرجع صفيه وتزوجها إلا بدافع رغبة جسدية. بينما الحقيقة التى يؤكدها السياق أن الدافع لجعل النبي ﷺ صفية زوجة له أسمى وأشرف من ذلك، وهو أن صفية بنت ملك وزوجة ملك، ومثلها لا يوهب كما توهب السبايا الأخريات. ولهذا استرجعها النبي ﷺ من دحية رضي الله عنه، مما يدل على الباعث الإنسانى النبيل الذى فيه تكريم لهذه السيدة العظيمة في قومها، وذلك حسب القاعدة الإسلامية الشريفة «**أكرموا عزيز قوم ذل**».... وليس أكرم لها وأجبر لخاطرها من أن تكون زوجة النبي ﷺ بدلاً من أن تكون مملوكة عند رجل من عامة الناس.

وباعث آخر « للرد على مرضى النفوس » ألا وهو مواساة هذه السيدة العظيمة في قومها وإعزازها وتكريمها.

روى الواقدي عن أُبيّ بن أبي سبرة عن أبي حرملة عن أخته أم عبد الله عن

---

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ للصابوني.

(٢) موسوعة للغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

ابنه أبي القين المزني قالت: كنت آلف صفيه من بين أزواج النبي ﷺ وكانت تحدثني عن قومها وما كانت تسمع منهم ثم ذكرت حديثاً طويلاً إلى أن قالت، فقالت صفية (فسبيت في حصن النزار) قبل أن ينتهي رسول الله ﷺ إلى الكتيبة (أحد الأودية في الشطر الثانى لخيبر) فأرسل بي إلى رحله ثم جاءنا حين أمسى فدعانى، فجئت وأنا مقنعة حيية فجلست بين يديه فقال: إن أقمت على دينك لم أكرهك وإن اخترت الله ورسوله فهو خير لك، فقالت: أختار الله ورسوله والإسلام فأعتقنى الرسول ﷺ وتزوجني[١].

وعن صفية رضي الله عنها أنها قالت: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما أحد أكره إليَّ منه، قتل أبى وزوجى وقومى، فقال: «يا صفية أما إنى أعتذر إليك مما صنعت بقومك إن قومك صنعوا كذا وكذا» (وأخذ يعدد الأسباب التي حملته على أن يفعل بهم ما فعل)، قالت صفية: وما زال يعتذر إليَّ حتى ذهب ذلك من نفسى، فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب إليَّ منه ﷺ ثم قالت: «ما رأيت أحداً قط أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ» [٢].

فلو لم يكن باعث استرجاع صفية من دحية الكلبى هو باعث إنسانى شريف ما خيرها النبي ﷺ – بعد أن حررها من الأسر – بين أن تعود إلى أهلها حرة معززة مكرمة وبين أن يتزوجها لتكون إحدى أمهات المؤمنين.

ولو أراد ﷺ أخذها لنفسه جارية سرية لفعل، ولا يمكن أن يجد طاعن أى مجال للطعن في تصرفه ﷺ لأن قوانين الحرب المتفق عليها بين جميع الشعوب والأمم والتى عمل بها الإسلام وطبقها (كعمل حربى مقابل) في ذلك العصر تبيح للنبي ﷺ أن يعامل صفية كنوع من الرقيق فيتخذها لنفسه جارية دونما أخذ موافقتها لأنها أسيرة حرب تعتبر مملوكة بموجب قانون الحرب الدولى المعمول به في ذلك العصر[٣].

---

(١) مغازي الواقدي.
(٢) السيرة الحلبية.
(٣) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

ولكن النبي ﷺ تكريماً لهذه السيدة العظيمة في قومها أبى إلا أن يخصها من بين جميع السبايا بإعطائها مطلق الحرية في أن تختار أي السبيلين تريد بمحض إرادتها. والعودة الى عشيرتها مع البقاء على دينها أو الدخول في الإسلام لتكون زوجة للرسول ﷺ لا فرق بينها وبين ابنة أبي بكر في الحقوق والواجبات فاختارت الزواج بمحض اختيارها.

وكان النبي ﷺ يبالغ في إكرام هذه السيدة رضي الله عنها ويراعي شعورها لعلمه بما هى عليه من حساسية وشعور مرهف، كامرأة عزيزة في قومها فقدت الوالد والزوج (كلاهما ملك على قومه).

فقد كانت صفيه نفسها تتحدث عن هذه المعاملة النبيلة والمواساة النابعة من أشرف قلب، فقد قالت: كنت ألقى من أزواج النبي ﷺ، يفخرن عليّ، يقلن: يا ابنة اليهودى وكنت أرى رسول الله ﷺ يلطف بي ويكرمني، فدخل عليّ يوماً وأنا أبكي فقال: مالك، فقلت: أزواجك يفخرن عليّ ويقلن: يا ابنة اليهودى قالت فرأيت رسول الله ﷺ قد غضب ثم قال: «**إذا تعالوا لك أو فاخروك فقولى: أبي هارون وعمي موسى**»(١). وفي رواية: «**وزوجي محمد** ﷺ».

وأضاف صاحب كتاب (سمط النجوم العوالى جـ٢ صـ١٦٠) إلى البواعث التى ذكرنا باعثاً آخر فقال: إن صفية بنت حيي بن أخطب، هى بنت ملك وزوجة ملك من ملوك اليهود وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان في السبى مثل صفية في نفاستها، فلو خص بها لأمكن تغيير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه فإن في ذلك رضى للجميع.

وهكذا يتضح نبل القصد وشرف الغاية في كل عمل يعمله النبي ﷺ وصحابته الكرام، كما تنكشف أمام أضواء هذه الحقيقة المشرقة الناصعة خبث

---

(١) مغازي الواقدي.

ونوايا وسوء مقاصد الذين يفسرون تزوج النبي ﷺ من صفية ذلك التفسير المقصود به الطعن في مقام الرسول الأعظم ﷺ .

فهل يفهم الحاقدون على الإسلام ونبي الإسلام هذه الحقائق المشرقة والمقاصد النبيلة السامية التى يحاولون طمسها بألوان قاتمة كالحة من الشكوك الباغية الظالمة[١] .

٣- وكذلك تزوج ﷺ بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) وأبو سفيان كان في ذلك الحين حامل لواء الشرك، وألد الأعداء لرسول الله ﷺ وقد أسلمت ابنته في مكة، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها، وهناك مات زوجها فبقيت وحيدة فريدة، لا معين لها ولا أنيس، فلما علم الرسول الكريم بأمرها أرسل إلى (النجاشى) ملك الحبشة ليزوجه إياها فأبلغها النجاشى ذلك فسرت سروراً لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه وتعالى، لأنها لو رجعت إلى أبيها وأهلها لأجبروها على الكفر والردة، أو عذبوها عذاباً شديداً، وقد أصدقها عنه أربعمائه دينار مع هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبي المصطفي عليه الصلاة والسلام .

ولما بلغ (أبا سفيان) الخبر أقر ذلك الزواج وقال : « هو الفحل لا يقدع أنفه » فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته له، الى أن هداه الله تعالى للإسلام[٢] .

ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة من تزوجه ﷺ بابنة أبي سفيان، فقد كان هذا الزواج سبباً لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين، سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة . مع أن أبا سفيان كان وقت ذلك من ألد بنى أمية خصومة لرسول الله ﷺ ، ومن أشدهم عداء له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سبباً لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته . . . كما أنه ﷺ اختارها لنفسه تكريماً لها على

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد احمد باشميل .
(٢) المصدر السابق .

إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارة بدينها، فما أكرمها من سياسة وما أجلها من حكمة؟؟؟(١).

قضية زواج النبي ﷺ بزينب رضي الله عنها:

قال ابن العربى (فنحن من جهة، نرى أن زينب كانت بنت عمة النبي ﷺ، رُبيت تحت نظره وشملها من عناية ما يشمل البنت مع والدها لأول الأمر، حتى أنه اختارها لمولاه زوجة. مع إبائها وإباء أخيها، وعد إباءها هذا عصياناً ولا زالت كذلك حتى نزل في شأنها قرآناً فكأنه أرغمها على زواجه، لما ألهمه الله من المصلحة لها وللمسلمين في ذلك ونزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب :٣٦]. ولو كان للجمال سلطان على قلبه ﷺ، لكان أقوى سلطانه عليه جمال البكر في روائه، ونضرة جدته، وقد كان يراها ولم يكن بينه وبينها حجاب ولا يخفي عليه شيء من محاسنها الظاهرة ولكنه لم يرغبها لنفسه ورغبها لمولاه، فكيف يحيد نظره إليها ويصيب قلبه سهم حبها بعد أن صارت زوجة لعبد من عبيده أنعم الله عليه بالعتق والحرية؟

وكذلك لم يعرف فيما يغلب على مألوف البشر، أن تعظم شهوة القريب وولعه بالقريب، إلى أن تبلغ حد العشق، خصوصاً إذا كان عشيره منذ صغره، بل المألوف زهادة الأقرباء بعضهم في بعض، متى تعود بعضهم النظر الى بعض، من بداية السن الى أن يبلغ حداً منه يحول فيه نظر الشهوة فكيف يظن أو يتوهم أن النبي الذي يقول تعالى فيه: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٣١]، يخالف مألوف العادة، ثم يخالف أمر الله في ذلك؟ أم كيف يخطر ببال أن من عصم الله قلبه عن كل دنيئة يغلب عليه سلطان شهوة في بنت عمته، بعد أن زوجها لعبد من عبيده)(٢).

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول عليه السلام للصابوني.
(٢) أحكام القرآن لإبن العربي.

لطيفة مشابهة:

لقد مضت سنة الله في خلقه أن ما رسخ في النفس بحكم العادة لا يسهل الانفصال عنه ولا يقدر على ذلك إلا من رفعة الله فوق العادات وأعتقه من رق الشهوات وجعل همة فوق المألوفات فلا يستميله إلا الحق ولا يحكم عليه إلف ولا يغلبه عرف. ذلك هو النبي ﷺ ومن يختصه الله بالتأسي به. لهذا كان الأمر، إذا نهى الله عن مكروه كانت الجاهلية عليه أو أحل شيئاً كانت الجاهلية تحرمه بادر النبي ﷺ إلى الامتثال وتنفيذ ما أمر الله به حتى يكون قدوة حسنة ومثالاً صالحاً يحتذى به. وحتى يخف وزر العادة وتتخلص النفوس والعقول من ريب الشبهة. نادى ﷺ في حجة الوداع «**بحرمة الربا**» وأول ربا وضعه «**ربا عمه العباس**» حتى يرى الناس صنيعه بأقرب الناس إليه وأكرمهم عليه فيسهل عليه ترك مالهم وتنقطع وساوس الشيطان من صدروهم، وعلى هذه السنن الإلهية جرى عمل النبي ﷺ في أمر زينب ﵂.

كبر على العرب أن يفصلوا عن أهلهم ما ألصقوه بأنسابهم من أدعيائهم فعمد النبي ﷺ، على سنته، إلى خرق العادة بنفسه، وما كان ينبغي له، ولا من مقتضى الحكمة، أن يكلف أحد الأدعياء الأباعد عنه، أن يتزوج ثم يأمره بالطلاق ثم يأمر من كان قد تبناه أن يتزوج مطلقته. ففي ذلك من المشقة مع تحكم العادة ما لا يخفي على أحد، فألهمه الله تعالى أن يتولى الأمر بنفسه في أحد عتقائه، لتسقط العادة بالفعل، كما ألغى حكمها بالقول الفعلي ولهذا أرغم النبي ﷺ زينب أن تتزوج بزيد وهو مولاه وصفيه وهو يجد في نفسه ﷺ أن هذا الزواج مقدمه لتقرير شرع وتنفيذ حكم إلهى وبعد أن صارت زينب إلى زيد لم يلن إباؤها الأول، ولم يسلس قيادتها، بل شمخت بأنفها وذهبت تؤذى زوجها وتفخر عليه بنسبها وبأنها أكرم منه عرقاً وأصرح منه حرية، لأنه لم يجر عليها رق كما جرى عليه فاشتكى منها إلى رسول الله ﷺ المرة بعد المرة. وهو

عليه السلام مع علو مقامه يغلبه الحياء وقتئذ ويتمكث في تنفيذ حكم الله ولا يعجل فكان يقول لزيد ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ إلى أن غلب أمر الله على أمر الأنفة، وسمح لزيد بطلاقها بعد أن مضه العيش معها. ثم تزوجها بعد ذلك الرسول ﷺ ليخرق حجاب العادة ويكسر ذلك الباب الذى كان مغلقاً دون مخالفتها كما قال: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وأكد ذلك بالتصريح في نفي الشبهة بقوله: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فائدة:

روى الإمام أحمد ومسلم والنسائى عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال ﷺ لزيد بن حارثة: «**اذهب فاذكرها علي**». فإنطلق حتى أتاها وهى تخمر عجينها. قال: فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى وقلت يا زينب أبشرى. أرسلنى رسول الله يذكرك، قالت ما أنا بصانعة حتى أؤامر ربى عز وجل فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن.... وجاء رسول الله ﷺ ودخل عليها بغير إذن.

قال الحافظ إبن حجر: وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، هو أن يكون الذى كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه وفيه إختبار ما كان عنده منها. هل بقى منه شيء أم لا؟[1].

---

(١) تفسير القاسمي.

الولي هو الله والوكيل جبريل:

روى البخارى في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن زينب كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات. فكان وليها في الزواج هو الله تعالى والسفير أو وكيلها جبريل عليه السلام وزوجها هو رسول الله ﷺ.

وقد روى أنس رضي الله عنه: ما رأيت النبي ﷺ أولم على أحد من نسائه ما أولم عليها! أولم بشاه. [اخرجه مسلم] وقال الكرمانى: لعل السر في أنه ﷺ أولم على زينب أكثر كان شكراً لنعمة الله عز وجل، لأنه زوجه إياها بالوحى إذ قال تعالى قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فإن قال قائل: قد نفي أنس أن يكون أولم على غير زينب بأكثر مما أولم عليها، وقد أولم على ميمونة بنت الحارث لما تزوجها في عمرة القضية بمكة أكثر من شاة. قلت: فنفيه محمول على ما انتهى إليه علمه، أو لما وقع من البركة في وليمتها حيث أشبع المسلمين خبزاً ولحماً من الشاة الواحدة، ولأن قضية ميمونة كانت بعد فتح خيبر، وكانت التوسعة موجودة في ذلك الوقت بالتوسعة الحاصلة في فتح خيبر(١).

نفي الحرج عن النبي:

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب:٣٨]، هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الأمة. أعلمهم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء أن ينالوا ما أحله لهم، أى سنه لمحمد ﷺ التوسعة في النكاح سنة الأنبياء الماضية كداود وسليمان عليهما السلام(٢).

---

(١) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري.

ثم إنه تعالى نفي الحرج عن المؤمنين فيما ذكر واندرج الرسول فيهم إذ هو سيد المؤمنين، نفي عنه الحرج بخصوصه وذلك على سبيل التكريم والتشريف ونفي عنه الحرج مرتين، أحداهما بالاندراج في العموم والأخرى بالخصوص(١).

سورة نزلت للرد على الطاعنين في النبي ﷺ من المنافقين والكافرين:

سورة الأحزاب نزلت في الرد عليهم قولهم لما تزوج ﷺ زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة فقالوا: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله تعالى ابطال التبنى وأن الحق في أحكام الله لأنه الخبير بالأعمال وهو الذى يقول الحق. وأن ولاية النبى ﷺ للمؤمنين أقوى ولاية، ولأزواجه حرمة الأمهات. وتلك ولاية من جعل الله فهي أقوى وأشد من ولاية الأرحام(٢).

وتحدثت السورة عن أحكام معاشرة النبي ﷺ أزواجه وذكر فضلهن وفضل آل النبي ﷺ وفضائل أهل الخير من المسلمين والمسلمات. وما يسوغ لرسول الله ﷺ من الأزواج. وفيها تعظيم قدر النبي ﷺ في الملأ الأعلى والأمر بالصلاة والسلام عليه ووعيد المنافقين الذين يأتون بما يؤذى الله ورسوله والمؤمنين.

هذا ، وافتتاح السورة بخطاب النبي ﷺ ونداؤه بوصفه مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي ﷺ وقد نودى فيها خمس مرات في افتتاح أغراض مختلفة من التشريع بعضها خاص به وبعضها يتعلق بغيره وملابسة له.

فالنداء الأول: لافتتاح غرض تحديد واجبات رسالته نحو ربه ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾ [الأحزاب: ١-٣]، وفيه الأمر بتأدية حق الله وهو تحديد واجبات رسالته في تأدية مراد ربه على أكمل

---

(١) تفسير القاسمي.
(٢) تفسير التحرير والتنوير لإبن عاشور.

وجه وفيه النهى عن طاعة الكافرين والمنافقين فأشعر ذلك أن تشريعاً عظيماً سيلقى الله لا يخلو من حرج عليه فيه وعلى بعض أمته وأنه سيلقى مطاعن الكافرين والمنافقين.

وفائدة هذا الأمر والنهي والتشهير لهم بأن النبي ﷺ لا يقبل أقوالهم لييأسوا من ذلك لأنهم كانوا يدبرون مع المشركين المكائد ويظهرون أنهم ينصحون النبي ﷺ(١).

النداء الثاني: لإفتتاح غرض التنويه بمقام أزواجه واقترابه من مقامه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]، وما فيه من الشفقة على خلق الله، ومكارم الأخلاق منحصرة في شيئين: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وبدأ بالزوجات فإنهن أولى الناس بالشفقة ولذا قدمهن في النفقة(٢).

وهو نداء فيه مزيد اختصاص به وهو غرض تحديد سيرة أزواجه معه سيرة تناسب مرتبة النبوة، وتحديد تزوجه ﷺ وهو الغرض الثاني من الأغراض التي تقدم ذكرها في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

النداء الثالث: لافتتاح بيان تحديد تقلبات شئون رسالته في معاملة الأمة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وفيه التنويه بأوصافه ﷺ وقدره وبيان أركان رسالته والتنويه بشأنه العظيم عليه الصلاة والسلام.

وهنا ذكر خمسة أوصاف: شاهداً - مبشراً - نذيراً - داعياً - سراجاً منيراً.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير لإبن عاشور.
(٢) المصدر السابق.

ثم نهاه عن طاعة الكافرين والمنافقين وموافقتهم وعدم الإصغاء إلى ما يرغبونه فيترك ما أحل له من التزوج.

ففي النداء الأول ذكر ذاته وفي الثاني أزواجه وما تخلل ذلك من التكليف والتذكير وفي الثالث بيان أوصافه والتنويه بشأنه ﷺ.

النداء الرابع: في مطالعة غرض أحكام تزوجه وسيرته مع نسائه. ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ خوطب ﷺ في شأن خاص به هو بيان ما أحل الله له من الزوجات والسرارى وما يزيد عليه وما لا يزيد مما بعضه تقرير لتشريع له سابق وبعضه تشريع له للمستقبل، ومما بعضه يتساوى فيه النبى ﷺ مع الأمة وبعضه خاص به أكرمه الله بخصوصيته مما هو توسعة عليه، أو مما روعى في تخصيصه به علو درجته.

وقد نزلت الآية عقب آيات قبلها خاض المنافقون في تزوج النبى ﷺ زينب رضي الله عنها. فأراد الله أن يجمع في هذه الآية من يحل للنبى تزوجهن حتى لا يقع الناس في تردد ولا يفتنهم المرجفون[١].

النداء الخامس: في غرض تبليغه آداب النساء من أهل بيته والمؤمنات قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فائـدة:

قال الشافعي رحمه الله: «إن الله تبارك وتعالى - لما خص به رسوله ﷺ من وحيه، وأبان بينه وبين خلقه بما فرض الله عليهم من طاعته، افترض عليه أشياء

(١) تفسير التحرير والتنوير لإبن عاشور.

خففها عن خلقه ليزيده بها إن شاء الله قربة، وأباح له أشياء حظرها على خلقه زيادة في كرامته وتبياناً لفضله(١).

وقال القرطبى رحمه الله (خص الله تعالى رسوله في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد من باب الفرض والتحريم والتحليل - مزية على الأمة وهبت له ومرتبة خص بها، ففرضت عليه أشياء ما فرضت على غيره، وحرمت عليه أفعال لم تحرم عليهم، وحللت له أشياء لم تحلل لهم)(٢).

إذن المعترض معترض على الله - لأن الله هو الذى أحل لرسوله ﷺ ذلك العدد - لا على الرسول ﷺ.

فائدة (نكاح زوجاته بعده ﷺ):

نكاح أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام بعد وفاته محرم على المؤمنين بنص الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنۢ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وكيف يحل لهم الزواج منهن وهن بمقام الأمهات (وأزواجه أمهاتهم) وقال إبن العربى (النكاح باقى في حقه بعد وفاته ﷺ - ومعنى بقاء النكاح في حقه بقاء أحكامه من تحريم الزوجية - وكذلك وجوب النفقة والسكنى لقوله ﷺ (ما تركت بعد نفقة عيالى صدقة) - فجعل إستمرار وبقاء الزوجية في حقه ﷺ حتى بعد وفاته - فجعل الموت في حقه ﷺ بمنزلة المغيب في حق غيره - لكونهن أزواجاً له قطعاً، بخلاف سائر الناس، لأن الميت لا يعلم كونه مع أهله

(١) مختصر المزني.
(٢) تفسير القرطبي.

في دار واحدة، فربما كان أحدهم في الجنة والآخر في النار، فبهذه الوجهة انقطع السبب في حق الخلق، وبقى في حق الرسول ﷺ(١).

شبهة وجوابها (قسم الرسول ﷺ بين نسائه بالسوية):

ألزم الله من كان عنده أكثر من زوجه بالعدل بينهن في القسمة بأن يجعل لكل واحدة منهن ليلة ثم نسخ هذا في حقه عليه السلام ﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥١] والمعنى من تشاء منهن بتأخير نوبتها فيتركها من غير طلاق ويضم إليه من شاء منهنّ فالآية توسعه في حقه عليه السلام(٢).

الحكمة:

﴿ **ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ** ﴾

ويدل له ما رواه البخارى عن معاذه عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ** ﴾.

فقلت لها: ما كنت تقولين: قالت: كنت أقول له: إن كان ذلك إلى فلا أريد أن أؤثر عليك أحداً» فلو كان واجباً عليه العدل بينهن لما استأذن نساءه. ولما كانت إجابة عائشة ما أجابت به.

والحكمة من وراء ذلك التشريع بقوله: ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ** ﴾ ما قاله القرطبى «قال قتاده وغيره: أى ذلك التخيير الذى خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضائهن، إذا كان من عندنا، لأنهن إذا علمن أن الفعل من الله قرت أعينهن بذلك ورضين، لأن المرء إذا علم أنه لا حق له في شيء كان راضياً بما أوتى منه وإن

(١) أحكام القرآن لإبن العربي.
(٢) أحكام القرآن للجصاص.

قل، وإن علم أن له حقاً لم يقنعه ما أوتى منه، واشتدت غيرته عليه، وعظم حرصه فيه، فكان ما فعل الله ورسوله من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن، وإلى استقرار أعينهن بما يسمح به لهن، دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه »(١).

هل استعمل الرسول ﷺ - حقه فيما شرع الله له؟

مع أن الله وسع على رسوله ﷺ فإنه لم يستعمل هذا الحق فلم يتزوج واحدة من الواهبات على الصحيح، وقد حكم ابن حجر على رواية الشعبى الناصة على دخوله ﷺ ببعض الواهبات بالشذوذ قال « والمحفوظ أنه لم يدخل بأحد من الواهبات »(٢).

ولم يطلق ﷺ إلا حفصة ثم راجعها (سنن أبى داود وإسناده قوى كما قال إبن كثير في التفسير).

وظاهر ما حكته عائشه من استئذانه أنه لم يرج أحداً منهن بمعنى أنه لم يعتزل، وهو قول الزهرى، فإنه قال « ما أعلم أنه أرجأ أحداً من نسائه » أخرجه إبن أبى حاتم. وقال قتاده: « أطلق له أن يقسم كيف شاء، فلم يقسم إلا بالسوية »(٣). وقد كان ﷺ يسأل في مرض موته: « أين أنا غداً، إستبطاءً ليوم عائشة، ولم يستعمل حقه فيما شرع الله له، حتى أذن له نساؤه بأن يُمرّض في بيت عائشة رضي الله عنها(*).

وقد روى أبو داود والترمذى عن عائشة قالت: كان عليه الصلاة والسلام يقسم بين نسائه ويقول: «**اللهم هذا قسمى فيما أملك، فلا تلمنى فيما تملك ولا**

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري.

(٣) المصدر السابق.

(*) أصل الحديث في البخاري.

أملك» والمحققون مختلفون في صحة هذا الحديث فمنهم من يضعفه ومنهم من يصححه(١)(*).

قضية مارية القبطية ﵂:

الرد
من مصادر أهل الكتاب

وجه اعتراضهم على النبي عليه الصلاة والسلام في تحريم مارية القبطية على نفسه إرضاءاً لبعض زوجاته لما غارت عليه منها – ثم بعد ذلك أمره الله بعدم تحريم الحلال إرضاءاً لزوجاته وفرض له تحله يمينه وعاتبه الله على ترك الأولى وناداه بيا أيها النبي – تشريفاً ونداءاً عليه بمقام النبوة الذى يقتضى العصمة من الذنوب.

قال رحمة الله هندى في إظهار الحق:

إذا قال النبى: لا أفعل هذا الأمر، ثم فعل لأجل أنه كان جائزاً من الأصل، أو جاء إليه حكم الله – لا يقال: إنه أذنب. وعندهم يجوز ذلك في حق الله فضلاً عن الأنبياء وإليك الأمثلة من العهد القديم والجديد(٢).

في العهد القديم:

١ – أمر الله إبراهيم بذبح ولده (إسحاق)(**) ﵇ ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل (الباب الثانى والعشرين من سفر التكوين).

٢ – نقل قول نبي من الأنبياء في حق عالى الكاهن في الباب الثانى من سفر صموئيل الأول هكذا: « ٣٠ – فالله إله إسرائيل يقول: إنى قلت إن بيتك وبيت

(١) مسائل من فقه الكتاب والسنة للأشقر.
(*) صححه ابن كثير والشوكاني في التفسير وضعفه الألباني في الإرواء.
(٢) إظهار الحق لرحمة الله هندي.
(**) الذبيح عندنا (إسماعيل) كما تضافرت على ذلك أدلة الكتاب والسنة.

أبيك يخدمون بين يدى دائماً لكن يقول الله الآن: حاشا لا يكون الأمر كذلك بل أكرم من يكرمنى ومن يحقرنى يصير ذليلاً (٣٥) .وأنا أقيم لنفسي كاهناً متديناً » .

فكان وعد الله أن منصب الكهانة يبقى في بيت عالى الكاهن وبيت أبيه ثم أخلف وعده ونسخه وأقام كاهناً آخر.

ولا يتحير الناظر من خلف وعد الله على مذاق أهل الكتاب، لأن كتب العهد العتيق ناطقة به وبأن الله يفعل أمراً ثم يندم، أمثال ذلك :

- في الزبور التاسع والثمانين قال داود عليه السلام في خطاب الله عز وجل هكذا: « لكنك رفضت ورذلت وغضبت على الملك الذى مسحته وتنكرت لعهدك مع عبدك لطخت تاجه بالتراب » .
- سفر التكوين الباب السادس تحت عنوان « عقاب الله للبشرية » : ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور فكر قلبه يتسم دائماً بالإثم فملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان. وقال الرب « أمحو الإنسان الذى خلقته عن وجه الأرض مع سائر الناس والحيوانات والزواحف وطيور السماء لأنى حزنت أنى خلقته » أما نوح فقد حظى برضى الرب.
- وفي الآية الحادية عشرة من الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الأول قول الله هكذا: « ندمت على أنى صيرت شاول ملكاً إنه رجع من ورائى ولم يعمل بما أمرته » .

العهد الجديد :

- في الباب الخامس عشر من إنجيل متى أن إمرأة كنعانية استغاثت لأجل شفاء ابنتها، فأبى عيسى عليه السلام، فأجابت جواباً حسناً استحسنه عيسى عليه السلام، ودعا لابنتها فشفيت.

● في الباب الثانى من إنجيل يوحنا أن أم عيسى عليه السلام إستدعت منه في عرس قانا الجليل أن يحول الماء خمراً. وقال: مالى ولك يا إمرأة لم تأت ساعتى، ثم حوله.

وهذا يثبت في حق المسيح عليه السلام التراجع عن الأمر الذى عزم عليه، فعلام الإعتراض على النبي ﷺ وما فعل قد كان من الله تعالى ومن أنبيائه بدلالة نصوص أهل الكتاب(١).

قال الشيخ رحمة الله هندى في إظهار الحق:

وهاهنا خدشة يجوز لنا أن نوردها إلزاماً فقط، وهى أنه لما ثبتت الندامة في حق الله وثبت أنه ندم على خلق الإنسان وعلى جعل شاول ملكاً، فيجوز أن يكون قد ندم على إرسال المسيح عليه السلام بعدما أظهر دعوى الألوهية على ما هو زعم أهل التثليث، لأن هذه الدعوى من البشر الحادث أعظم جرماً من عدم إطاعة شاول أمر الرب، وكما لم يكن الله وافقاً على أن شاول يعصى أمره فكذا يجوز أن لايكون وافقاً على أن المسيح يدعى الألوهية، وإنما قلت هذا إلزاماً فقط، لأنا لانعتقد – بفضل الله – ندامة الله ولا ادعاء المسيح عليه السلام الألوهية، بل عندنا ساحة الألوهية وكذا ساحة نبوة المسيح عليه السلام صافيتان عن قمامة هذه الكدورات والمنكرات(٢).

---

(١) دار الكتاب المقدس، وإظهار الحق لرحمة الله هندي.

(٢) إظهار الحق لرحمة الله هندي.

الـرد
من الكتاب والسنة

الثابت الصحيح أن حفصة وعائشة ﵄ تواصيتا أن تقول كل واحدة منهما للنبي ﷺ إذا دخل على كل منهما (إني أجد منك ريح مغافير) وهو شراب له رائحة كريهة وكان ﵊ حريص على ألا يشتم منه إلا الرائحة الطيبة، وإنما دفعهما إلى ذلك الغيرة من بقية نسائه الذى ربما شرب عندهم هذا النوع من العسل، فقال ﵊: «**ولن أعود له**» أى للشرب، فنزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التحريم: ١] من شرب العسل أو مارية القبطية. قال ابن كثير: والصحيح أنه كان في تحريمه العسل[١].

وقال الخطابى: الأكثر على أن الآية نزلت في تحريم مارية حين حرمها على نفسه، ورجحه في فتح البارى بأحاديث عن سعيد بن منصور، والضياء في المختارة، والطبرانى في عشرة النساء، وابن مردويه، والنسائى ولفظه عن ثابت بن أنس «أن النبى ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به حفصة وعائشة ﵄ حتى حرمها فأنزل الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التحريم: ١].

ولكن قال الخطابى في معالم السنن: في هذا الحديث دليل على أن يمين النبى ﷺ إنما وقعت في تحريم العسل لا في تحريم أم ولده مارية القبطية كما زعمه بعض الناس.

قال الخازن: قال العلماء: الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح. قال النسائى: إسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح[٢].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود.
(٢) المصدر السابق.

وبفرض صحة رواية تحريم مارية فإن الأصل في تحريم الحلال أنه يمين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١]، وقال أبو حنيفة رحمه الله: لفظ التحريم يمين ومن حرم ملكه لا يحرم. وقال الشافعي: إذا قال لامرأته أنت على حرام أو حرمتك ولم ينو به طلاقاً ولا ظهاراً، فعليه كفارة يمين. ولو قال لطعام: هذا حرام على، أو حرمته على نفسي لم يحرم عليه ولم يجب عليه شيء(١).

قال في تفسير التحرير والتنوير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم:١] أغراض هذه السورة: ما تضمنه سبب نزولها أن أحداً لا يحرم على نفسه ما أحل الله له لإرضاء أحد إذ ليس ذلك بمصلحة له ولا للذى يسترضيه فلا ينبغى أن يجعل كالنذر إذ لاقربة فيه وما هو بطلاق لأن التى حرمها جارية ليست بزوجة، فإنما صلاح كل جانب فيما يعود بنفع على نفسه أو ينفع به غيره نفعاً مرضياً عند الله وتنبيه نساء النبي ﷺ إلى أن غيرة الله على نبيه أعظم من غيرتهن عليه وأسمى مقصداً. وأن الله يطلعه على ما يخصه من الحادثات. وأن من حلف على يمين فرأى حنثها خيراً من برها أن يكفر عنها ويفعل الذى هو خير. وفيه تعليم الأزواج أن لا يكثرن من مضايقة أزواجهن فإنها ربما أدت إلى الملال فالكراهية فالفراق(٢).

سيرة موجزة عن بعض أمهات المؤمنين:

لقد اختارهن الله لحبيبه المصطفي ﷺ وأكرمهن بهذا الشرف العظيم، شرف الانتساب الى سيد المرسلين، واختارهن من صفوة النساء، وجعلهن أمهات المؤمنين في وجوب الإحترام والتعظيم، وفي حرمة الزواج بهن بعد وفاته ﷺ تكريماً لرسوله فقال وهو أصدق القائلين: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ

---

(١) مرقاة المفاتيح للملا علي القاري.
(٢) تفسير التحرير والتنوير لإبن عاشور.

أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ [الأحزاب:٦] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال القرطبى رحمه الله في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)[١] ما نصه:

« شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ، بأن جعلهن أمهات المؤمنين أى في وجوب التعظيم، والمبرة، والإجلال، وحرمة النكاح على الرجال، فكان ذلك تكريماً لرسوله، وتشريفاً لهن.... »

وأمهات المؤمنين اللواتى تزوجهن الرسول الكريم، يزيد عددهم على عشر نسوة وهن كالآتى[٢]:

أولاً/ السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

ثانياً/ السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

ثالثاً/ السيدة عائشة بنت أبى بكر رضي الله عنهما

رابعاً/ السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

خامساً/ السيدة زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها.

سادساً/ السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.

سابعاً/ السيدة أم سلمة رضي الله عنها.

ثامناً/ السيدة أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) رضي الله عنهما.

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول عليه السلام للصابوني.

تاسعاً / السيدة ميمونة بنت الحارث ﵂.

عاشراً / السيدة جويرية بنت الحارث ﵂.

وأخيراً : السيدة صفية بنت حيي بن أخطب ﵂.

١- السيدة خديجة بنت خويلد:

هى أول أزواجه ﵊، تزوجها الرسول الكريم قبل البعثة وهو إبن خمس وعشرين عاماً، وهى ثيب (أرملة) بنت أربعين سنة. وقد كانت عند (أبى هالة) ابن زرارة أولاً، ثم خلف عليها بعد أبى هالة (عتيق بن عائذ) ثم خلف عليها رسول الله ﷺ كما في الإصابة، وقد اختارها صلوات الله وسلامه عليه لسداد رأيها ووفرة ذكائها، وكان زواجه بها أول زواجاً حكيماً موفقاً لأنه كان زواج العقل للعقل، ولم يكن فارق السن بينهما بالأمر الذى يقف عقبة في طريق الزواج، لأنه لم يكن الغرض منه قضاء (الوطر والشهوة) وإنما كان هدفاً إنسانياً سامياً، فمحمد رسول الله قد هيأه الله لحمل الرسالة، وتحمل أعباء الدعوة، وقد يسر الله تعالى له هذه المرأة التقية النقية، العاقلة الذكية، لتعينه على المضى في تبليغ الدعوة، ونشر الرسالة، وهى أول من آمن به من النساء.

ومما يشهد لقوة عقلها، وسداد رأيها، أن الرسول ﷺ حين جاءه جبريل وهو في غار حراء رجع الى زوجه يرجف فؤاده، فدخل عليها وهو يقول: «**زملونى زملونى**»، حتى ذهب عنه الروع، فحدث خديجة بالخبر وقال لها: لقد خشيت على نفسى فقالت له: «أبشر، كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. . . . . » والحديث في الصحيحين.

قضى الرسول مع خديجة زهرة شبابه، فلم يتزوج عليها، ولا أحب أحداً مثل حبه لها، وكانت السيدة عائشة تغار منها مع أنها لم تجتمع معها ولم ترها،

حتى تجرأت مرة عليه عند ذكره ﷺ لها فقالت: «وهل كانت إلا عجوزاً في غابر الأزمان، قد أبدلك الله خيراً منها؟ تعني نفسها» فغضب ﷺ من هذه الكلمة وقال لها: «**لا والله ما أبدلني الله خيراً منها... لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء**» قالت: فلم أذكرها بسوء بعده أبداً.

عاشت مع الرسول ﷺ خمساً وعشرين سنة خمس عشرة قبل البعثة وعشراً بعدها، ولم يتزوج الرسول الكريم امرأة عليها، ورزق منها جميع أولاده ما عدا إبراهيم وحين إنتقلت الى رحمة الله راضية مرضية كان الرسول ﷺ قد بلغ الخمسين من العمر، وليس عنده سواها، فلم يعدد زوجاته إلا بعد وفاتها، لبعض تلك الحكم التي ذكرت من قبل ﷺ وأرضاها وجعل الجنة مسكنها ومأواها.

٢- سودة بنت زمعة:

تزوجها ﷺ بعد وفاة خديجة، وهي أرملة (السكران بن عمرو الأنصاري)... والحكمة في إختيارها مع أنها أكبر سناً من الرسول ﷺ، أنها كانت من المؤمنات المهاجرات، توفي عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية، فأصبحت فريدة وحيدة، لا معيل لها ولا معين، ولو عادت إلى أهلها – بعد وفاة زوجها – لأكرهوها على الشرك، أو عذبوها عذاباً نكراً، ليفتنوها عن الإسلام، فاختار ﷺ كفالتها فتزوجها، وهذا هو منتهى الإحسان والتكريم لها على صدق إيمانها وإخلاصها لله ولرسوله ﷺ.

ولو كان غرض الرسول الشهوة – كما زعم المستشرقون الأفاكون والأعداء الحاقدون – لاستعاض عنها وهي الأرملة المسنة التي بلغت من العمر الخامسة والخمسين – بالنواهد الأبكار، ولكنه ﷺ كان المثل الأعلى في الشهامة، والنجدة والمروءة، ولم يكن غرضه إلا حمايتها ورعايتها لتبقى تحت كفالته عليه أفضل الصلاة والتسليم.

٣- عائشة بنت أبي بكر الصديق:

تزوجها ﷺ وكانت بكراً، وهي الوحيدة من بين نسائه الطاهرات، فلم يتزوج بكراً غيرها، وكانت عائشة ﵂ أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن، بل كانت أعلم من أكثر الرجال، فقد كان كثير من كبار علماء الصحابة، يسألونها عن بعض الأحكام التي تشكل عليهم فتحلها لهم.

وقال عروة بن الزبير: (ما رأيت امرأة أعلم بطب، ولا فقه، ولا شعر من عائشة) روى عن أبي موسى الأشعري ﵁ أنه قال: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً).

ولا عجب فهذه كتب الحديث تشهد بعلمها الغزير، وعقلها الكبير، فلم يرو في الصحيح عن أحد من الرجال أكثر منها إلا شخصان هما: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر ﵄.

وكان ﷺ يحب عائشة أكثر من بقية نسائه وكان يعدل بينهن في القسمة ويقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما لا أملك**» ولقد كانت مصاهرة الرسول للصديق أبي بكر، أعظم منه ومكافأة له في هذه الحياة الدنيا، كما كان خير وسيلة لنشر سنته المطهرة وفضائله الزوجية وأحكام شريعته ولا سيما ما يتعلق منها بالنساء كما ذكر من قبل في الحكم التعليمية.

٤- حفصة بنت عمر:

تزوجها النبي ﷺ وهي أرملة، وكان زوجها (خنيس بن حذافة) الأنصاري قد استشهد في غزوة بدر، بعد أن أبلى بلاءً حسناً، فقد كان من الشجعان الأبطال، الذي سجل لهم التاريخ أنصع الصفحات في البطولة والرجولة والجهاد.

وقد عرضها أبوها عمر ﵁ على عثمان بعد وفاة زوجته (رقية بنت الرسول ﷺ) ثم تزوجها الرسول ﷺ فكان ذلك أعظم إكرام ومنة وإحسان لأبيها عمر ابن الخطاب.

أخرج البخارى عن عبد الله بن عمر الخطاب ﷺ: أن عمر حين تأيمت حفصة من (خنيس بن حذافة) وكان شهد بدراً وتوفي بالمدينة -- لقى عثمان فقال: إن شئت أنكحتك حفصة؟ قال: سأنظر في أمرى، فلبث ليال، فقال: قد بدا لى أن لا أتزوج. قال عمر: فقلت لأبى بكر إن شئت أنكحتك حفصة، فصمت، فكنت عليه أوجد منى على عثمان، فلبث ليال ثم خطبها النبي ﷺ فأنكحتها إياه.

فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت على حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً؟ قلت: نعم، قال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك إلا أني علمت أن النبي ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشى سره، ولو تركها لقبلتها.

هذه هي الشهامة الحقة، بل هذه هي الرجولة الصادقة تظهر في فعل الفاروق رضي الله عنه.

٥- زينب بنت خزيمة:

تزوجها عليه السلام بعد حفصة بنت عمر، وهى أرملة البطل المقدام شهيد الإسلام (عبيدة بن الحارث) بن عبد المطلب رضي الله عنه الذى استشهد في أول مبارزة في غزوة بدر، وقد كان حين استشهاد زوجها تقوم بواجبها في إسعاف الجرحى، وتضميد جراحهم، ولم يشغلها إستشهاد زوجها عن القيام بواجبها، حتى كتب الله النصر للمؤمنين في أول معركة خاضوها مع المشركين. ولما علم الرسول ﷺ بصبرها وثباتها وجهادها، وأنه لم يعد هناك من يعولها خطبها لنفسه وآواها، وجبر خاطرها بعد أن انقطع عنها الناصر والمعين.

يقول الشيخ (محمد محمود الصواف) في رسالته القيمة (زوجات النبي الطاهرات) بعد أن ذكر قصة استشهاد زوجها وما فيها من سمو وعظمة:

(وكانت قد بلغت الستين من عمرها حينما تزوج بها النبي ﷺ، ولم تعمر عند النبي الكريم سوى عامين، ثم توفاها الله إليه راضية مرضية، فما رأى الخراصين

بهذا الزواج الشريف، وغايته النبيلة؟ هل يجدون فيه شيئاً مما يأفك الأفاكون؟ أيجدون فيه أثر للهوى والشهوة؟ أم هو النبل والعفاف والعظمة والرحمة والفضل والإحسان من رسول الإنسانية الأكبر الذى جاء رحمة للعالمين)[١].

٦- أم سلمة هند المخزومية:

تزوج الرسول ﷺ وهى أرملة (عبد الله بن عبد الأسد) وكان زوجها من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وكانت زوجته معه خرجت فراراً بدينها، وإستشهد زوجها في غزوة أحد، فبقيت هى وأيتامها بلا كفيل ولا معيل، فلم ير ﷺ عزاءاً ولا كافلاً لها ولأولادها غير أن يتزوج بها، ولما خطبها لنفسه إعتذرت إليه، وقالت : إني مسنة، وإني أم أيتام، وإني شديدة الغيرة « فأجابها ﷺ وأرسل لها يقول : «**أما الأيتام فأضمهم إلَي وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة**»، ولم يعبأ بالسن فتزوجها ﷺ بعد موافقتها، وقام على تربية أيتامها، ووسعهم قلبه الكبير، حتى أصبحوا لا يشعرون بفقد الأب، إذ عوضهم أباً أرحم من أبيهم صلوات الله وسلامه عليه. وقد اجتمع لأم المؤمنين النسب الشريف، والبيت الكريم، والسبق الى الإسلام.... على أن لها فضيلة أخرى هى (جودة الرأى) ويكفينا دليلاً على ذلك استشارة النبي ﷺ لها في أهم ما حزنه وأهمه من أمر المسلمين، وما أشارت به عليه، وذلك في (صلح الحديبية) فقد تأثر المسلمون بالغ التأثر من ذلك الصلح مع المشركين، على ترك الحرب عشر سنين بالشروط التى قدموها ورأوا في ذلك هضماً لحقوقهم مع أنهم كانوا في أوج عظمتهم وكان من أثر هذا الإستياء، أنهم تباطئوا في العودة الى المدينة المنورة، فلم يمتثل أمره أحد، فدخل الرسول على زوجه (أم سلمة) وقال لها : «**هلك الناس، أمرتهم فلم يمتثلوا**»، فهونت عليه الأمر، وأشارت عليه بأن يخرج إليهم ويحلق رأسه أمامهم، وجزمت بأنهم لا يترددون حينذاك عن الإقتداء به، لأنهم

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ للصابوني.

يعلمون أنه صار أمراً مبرماً لا مرد له، وكذلك كان، فما أن خرج الرسول وأمر بحلق رأسه، حتى تسابقوا إلى الإقتداء به صلوات الله عليه فحلقوا وتحللوا وكان ذلك بإشارة أم المؤمنين أم سلمة ﵂ وأرضاها.

هذا وأم سلمة ﵂ من أكثر زوجاته ﷺ رواية عنه بعد عائشة ﵂ فنقلت إلى الأمة فقهاً غزيراً وجماً غفيراً من هدى النبي ﷺ في شتى أنواع الأحكام والعبادات.

٧- ميمونة بنت الحارث:

هذه السيدة تزوجت قبل رسول الله ﷺ رجلين، الأول منهما: ابن عبد ياليل بن عمرو الثقفى، مات عنها، ثم خلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر. كان اسمها برة فسماها ﷺ (ميمونة) وهى آخر أزواجه صلوات الله عليه، وقد قالت فيها عائشة: أما أنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم(١).

وقالت عائشة ﵂ ذلك القول في مدح ميمونة ﵂ بعد أن توفيت وقد توفيت بسرف حيث بنى بها رسول الله ﷺ وهو ما بين مكة والمدينة وذلك سنة إحدى وخمسين(٢).

---

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ للصابوني.
(٢) تهذيب التهذيب لإبن حجر.

المطعن الثانى
مطعن الجهاد

وهو من أعظم المطاعن في زعمهم حيث يزعمون أن النبي ﷺ قتل وسفك الدماء (وسبى النساء وأخذ الأموال) لنشر دينه وقتل كل مخالفيه ونشر الإسلام بالسيف وجاء بشريعة متعطشة للدماء لإرهاب المخالفين. هذا ويقررون هذا المطعن في رسائلهم بتقريرات عجيبة مموهة منشؤها العناد الصرف.

الرد
من مصادر أهل الكتاب[١]

قال رحمه الله هندى في إظهار الحق: « وأنا أمهد قبل تحرير الجواب أموراً خمسة »:

الأمر الأول:

أن الله يبغض الكفر ويجازى عليه في الآخرة يقيناً وكذا يبغض العصيان، وقد يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا أيضاً وإليك هذه الأمثلة من أسفار أهل الكتاب التي بين أيديهم:

- عاقب الله الكفار بالإغراق عموماً كما في عهد نوح عليه السلام فإنه أهلك كل ذى حياة غير أهل السفينة بالطوفان (سفر التكوين).
- أغرق فرعون وجنوده في عهد موسى عليه السلام (سفر الخروج).

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.

- أهلك أكبر الأولاد لكل إنسان وبهيمة من أهل مصر في ليلة خروج بني إسرائيل من مصر – وهذا كان إهلاكاً مفاجئاً (سفر الخروج) .
- أمطر الكبريت والنار من السماء وقلب المدن كما في عهد لوط عليه السلام (سفر التكوين) .
- أهلك بالأمراض كما أهلك الآشدوديين بالبواسير (سفر صموئيل الأول) .
- أرسل ملكاً فأهلك عسكر الآشوريين فقتل منهم في ليلة واحدة مائة وخمسة وثلاثين ألفاً (سفر الملوك الثانى) .
- عاقب العصاة بالخسف والنار كما أهلك قورح وداثان وأبيرم وغيرهم لما خالفوا موسى عليه السلام فانقلبت الأرض. وابتلعت قورح وداثان وأبيرم ونساءهم وأولادهم وأثقالهم ثم خرجت نار فأهلكت مائتين وخمسين رجلاً (سفر العدد) .
- أرسل الحيات المؤذية على بنى إسرائيل لما خالفوا موسى عليه السلام فجعلت تلدغهم فمات كثير منهم (سفر العدد) .

وتارة يعذب الله الكفار ويجازيهم في الدنيا بجهاد الأنبياء ومتبعيهم كما سوف يظهر في الأمر الثانى .

هذا وقد لا يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا، ألا ترى أن الحواريين على زعم النصارى كانوا أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيليين ومن تابوت الله، وأن قاتليهم عند النصارى أسوأ من كفار عهد نوح ولوط وموسى عليهم السلام، وقتل نيرو الظالم المشرك (إمبراطور روما) بطرس الحوارى وزوجته وبولس وكثيراً من النصارى بأشد أنواع القتل . (قاموس الكتاب المقدس)

وكذا قتل أكثر الكفار الحواريين وتابعيهم ومع ذلك ما أهلكهم الله بالإغراق ولا بأمطار الكبريت والنار وقلب المدن، ولا بقتل أكبر أولادهم ولا بإبتلائهم بالأمراض، ولا بإرسال الملك، ولا بإرسال الحيات، ولا بوجه آخر .

الأمر الثاني:

أن الأنبياء السابقين أيضاً قتلوا الكفار، وسبوا نساءهم وذراريهم، ونهبوا أموالهم، ولا تختص هذه الأمور بشريعة محمد ﷺ كما لا يخفي على من طالع كتب العهدين، و... شواهد كثيرة أكتفي على إيراد بعضها:

– في الباب العشرين من كتاب التثنية هكذا « ١٠– وإذا دنوت من القرية لتقاتلها أدعهم أولاً بالصلح (١١) فإن قبلت وفتحت لك الأبواب فكل الشعب الذى بها يخلص ويكونوا لك عبيداً يعطوك الجزية (١٢) وإن لم ترد تعمل معك عهداً وتبتدى بالقتال معك فقاتلها أنت (١٣) وإذا سلمها الرب إلهك بيدك اقتل جميع ما بها من جنس الذكر بفم السيف (١٤) دون النساء والأطفال والدواب وما كان في القرية وغيرهم وأقسم للعسكر الغنيمة بأسرها وكل من سلب أعدائك الذى يعطيك الرب إلهك (١٥)، وهكذا فافعل بكل القرى البعيدة منك جداً وليست من هذه القرى التى ستأخذها ميراث (١٦) فأما القرى التى تعطى أنت إياها فلا تستحى منها نفساً البته (١٧) ولكن أهلكهم كلهم بحد السيف الحيثى والأمورى والكنعانى والفرزى والحوايي واليابوسي كما أوصاك الرب إلهك ».

فظهر من هذه العبارة أن الله أمر في حق القبائل الست – أعنى الحيثانيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوايين واليابوسين – أن يقتل بحد السيف كل ذى حياة منهم ذكورهم وإناثهم وأطفالهم، وأمر فيما عداهم أن يدعوهم أولاً الى الصلح، فإن رضوا به وقبلوا الإطاعة وأداء الجزية فبها، وإن لم يرضوا يحاربوا، فإذا حصل الظفر عليهم يقتل كل ذكر منهم بالسيف، وتسبى نساؤهم وأطفالهم، وإنتهب دوابهم وأموالهم، وتقسم على المجاهدين، وهكذا يفعل بكل القرى التى هى بعيدة من قرى الأمم الست.

وهذه العبارة الواحدة تكفي في جوابهم عن تقريراتهم الواهية، وقد نقلها

علماء الإسلام سلفاً وخلفاً في مقابلاتهم، ولكنهم يسكتون عنها كأنهم لم يروها في كلام المخالف، ولا يجيبون عنها لا بالتسليم ولا بالتأويل.

– في الباب السابع من سفر التثنية هكذا « ١– إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التى تدخل لترثها ويبيد الشعوب الكثيرة من قدامك الحيثى والجرجانى والأمورانى والكنعانى والفرزابى والحواى واليبوسانى، سبعة أمم أكثر منكم عدداً وأشد منكم (٢) وأسلمهم الرب إلهك بيدك فإضرب بهم حتى أنك لا تبقى منهم بقية فلا تواثقهم ميثاقاً ولا ترحمهم (٥) لكن فافعلوا بهم هكذا: مذابحهم فأخربوها وأكسروا أصنامهم وقطعوا مناسكهم وأوقدوا أوثانهم ».

فعلم من هذه العبارة أن الله أمر بإهلاك كل ذى حياة من الأمم السبع، وعدم الرحمة بهم، وعدم المعاهدة معهم، وتخريب مذابحهم، وكسر أصنامهم، وإحراق أوثانهم، وقطع مناسكهم.

ووقع في حق هذه الأمم السبع أنهم « أكثر منكم عدداً وأشد منكم » وبإحصاء عدد جميع بنى إسرائيل لا يكون الكل أقل من مليونين ونصف مليون، وهذه الأمم السبع إذا كانت أكثر منهم عدداً وأشد منهم فلا بد أن يكون عدد هذه الأمم أكثر من عددهم.

- في الآية العشرين من الباب الثانى والعشرين من سفر الخروج هكذا « من يذبح للأوثان فليقتل ».

- في الباب الخامس والعشرين من سفر العدد أن بنى إسرائيل لما زنوا ببنات مؤاب، وسجدوا لآلهتهم أمر الرب بقتلهم، فقتل موسى أربعة وعشرين ألفاً منهم.

- في الباب الحادى والثلاثين من سفر العدد « أرسل موسى عليه السلام إثنى عشر ألف رجل مع فينحاس إبن العازر لمحاربة أهل مديان، فحاربوهم وإنتصروا عليهم،

وقتلوا كل ذكر منهم وملوكهم وبلعام، وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم كلها، وأحرقوا القرى والدساكر والمدائن بالنار، فلما رجعوا غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال لم إستحييتم النساء؟ ثم أمر بقتل كل طفل مذكر وكل إمراة ثيبة وإبقاء الأبكار، ففعلوا كما أمر».

- في سفر يوشع عليه السلام أن يوشع بعد موت موسى عليه السلام عمل بالأحكام المندرجة في التوراة، فقتل المليونات الكثيرة.

- في الباب السابع والعشرين من سفر صموئيل الأول «وكان يخرب داود كل الأرض ولم يكن يبقى منهم رجلاً ولا إمرأة ويأخذ الغنم والبقر والحمير والجمال والأمتعة وكان يرجع ويأتي إلى أخيس».

- في الباب الثامن عشر من سفر الملوك الأول أن إيليا عليه السلام ذبح أربعمائة وخمسين رجلاً من الذين يدعون أنهم أنبياء بعل.

- في الباب الحادى عشر من الرسالة العبرانية «والأنبياء الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود أطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف صاروا أشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء».

فظهر من كلام مقدسهم بولس أن قهر هؤلاء الأنبياء ممالك وإطفاءهم النار ونجاتهم من حد السيف وهزمهم جيوش الكفار كان من جنس البر لا من جنس الإثم، وكان منشؤها قوة الإيمان ونيل مواعد الرحمان، لا قساوة القلب والظلم، وإن كانت أفعالهم في عين الكثير ممن لا يؤمنون بالأنبياء أشد أنواع الظلم لا سيما في قتل الصغار الذين ما كانوا متدنسين بدنس الذنوب.

وقد عد داود عليه السلام جهاداته من الحسنات حيث قال في الزبور الثامن عشر «ويجازينى الرب مثل برى ومثل طهارة يدى يكافينى لأنى حفظت طرق الرب ولم أكفر بإلهى لأن جميع أحكامه قدامي وعدله لم أبعده عنى وأكون معه بلا عيب لأنه حفظنى من إثمى ويجازينى الرب مثل برى ومثل طهارة يدى قدام عينى».

وقد شهد الله أن جهاداته وسائر أفعاله الحسنة كانت مقبولة عند الله، ففي الآية الثامنة من الباب الرابع عشر من سفر الملوك الأول قول الله هكذا: «داود عبدى الذى حفظ وصاياى وتبعنى من كل قلبه وعمل بما حسن أمامى».

الأمر الثالث:

لا يشترط أن تكون الأحكام العملية الموجودة في الشريعة السابقة باقية في الشريعة اللاحقة بعينها، بل لا يشترط أن تكون هذه الأحكام العملية باقية في شريعة واحدة من أولها إلى آخرها، بل يجوز أن تختلف هذه الأحكام بحسب إختلاف المصالح والأزمنة والمكلفين. فكان الجهاد مشروعاً في الشريعة الموسوية على طريق هو أشنع انواع الظلم عند منكر النبوة، ولم تبق مشروعيته في الشريعة العيسوية، وما كان بنو إسرائيل مأمورين بالجهاد قبل خروجهم عن مصر، وصاروا مأمورين به بعد خروجهم، وعيسى ﷺ يقتل الدجال وعسكره بعد نزوله كما هو مصرح به في الباب الثانى من الرسالة الثانية الى أهل تسالوينكى والباب التاسع عشر من المشاهدات.

وكذا **لا يشترط أن تكون معاملة تنبيه الكفار** والعصاة على طريقة واحدة فلا يجوز لمن يعتقد النبوة والوحى أن يعترض بمثل هذه الأمور على شريعة، فلا يجوز له أن يقول: إن إهلاك كل ذى حياة غير أهل السفينة في طوفان نوح ﷺ، وإهلاك أهل سادوم وعامورة ونواحيهما في عهد لوط ﷺ، وإهلاك كل ولد أكبر من أولاد الإنسان والبهيمة من أهل مصر ليلة خروج بنى إسرائيل عنها في عهد موسى ﷺ كان ظلماً - لا سيما إهلاك ألوف ألوف في حادثة الطوفان، وإهلاك ألوف من أولاد الإنسان الصغار وأولاد البهيمة التى هى ما كانت متدنسة بذنب.

وكذا **لا يجوز أن يقول**: إن قتل الأمم السبع كلها - بحيث لا تبقى منهم بقية ما لا سيما قتل أولادهم الصغار الذين ما كانوا إقترفوا ذنباً - ظلم.

أو أن يقول: إن جهادات داود عليه السلام وجهادات سائر الأنبياء الإسرائيليين عليهم السلام أو إن ذبح إيليا عليه السلام أربعمائة وخمسين رجلاً من أنبياء بعل، أو إن قتل عيسى عليه السلام بعد نزوله الدجال وعسكره – ظلم لا يجوز العقل أن يفعل الله أو يأمر أحد بأمثال هذا الظلم.

الأمر الرابع:

إن أعداء الإسلام يدعون كذباً أن دين الإسلام شاع بالسيف وإليك الرد على هذه الفرية:

● إن أعداء الإسلام من اليهود والنصارى إذا تسلطوا تسلطاً تاماً إجتهدوا في إمحاء المخالفين، فمثلاً إذا تسلط النصارى على اليهود:

● قال صاحب كتاب «كشف الآثار في قصص بنى إسرائيل» «القسطنطين الأعظم الذى كان قبل الهجرة بثلاثمائة سنة تقريباً أمر بقطع آذان اليهود وإجلائهم إلى أقاليم مختلفة، ثم أمر ملك الملوك الرومى في القرن الخامس من القرون المسيحية بإخراج اليهود من بلدة الإسكندرية التى كانت مأمنهم، وكانوا يجيئون إليها من كل جانب فيستريحون فيها، وأمر بهدم معابدهم، ومنع عبادتهم، وعدم قبول شهادتهم، وعدم نفاذ الوصية إن أوصى أحد منهم لأحد في ماله، ولما ظهر منهم بغاوة ما لأجل هذه الأحكام نهب جميع أموالهم، وقتل كثير منهم، وسفك الدماء بظلم إرتعد به جميع اليهود في هذا الإقليم».

قال أيضاً في «كشف الآثار في قصص بنى إسرائيل»:

«وقد دبر سلاطين فرنسا في حق اليهود أمراً، وهو أنهم كانوا يتركون اليهود إلى أن يصيروا متمولين بالكسب والتجارة، ثم يسلبون أموالهم، وبلغ هذا الظلم لأجل الطمع غايته، ثم لما صار فيليب أغسطس سلطاناً في فرنسا أخذ أولاً الخمس من ديون اليهود التى كانت على المسيحيين، وأبرأ من الباقى ذمة

المسيحيين، وما أعطى اليهود حبه، ثم أجلى اليهود كلهم من مملكته، ثم جلس على سرير السلطنة لويس الثامن إبنه وقد أجلى اليهود مرتين من مملكته، ثم أجلى شارل السادس اليهود من مملكة فرنسا. وقد ثبت من التواريخ أن اليهود أجلوا من مملكة فرنسا سبع مرات، وعدد اليهود الذين أخرجوا من مملكة إسبنيول لو فرض في جانب القلة لا يكون أقل من مائة ألف وسبعين ألف بيت، وفي مملكة النمسا قتل كثير منهم، ونهب كثير منهم ونجا منهم قليل وهم الذين تنصروا، ومات كثير منهم بأن سدوا أولاً أبوابهم، ثم أهلكوا أنفسهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم إما بالإغراق في البحر، أو بالإحراق بالنار.

• **وقال صاحب (سير المتقدمين)**: «إن السلطان السادس من قسطنطين الأول أمر بمشورة أمرائه في سنة ٣٧٩ م أن ينصر كل من هو في السلطنة الرومية، ويقتل من لم يتنصر» إنتهى وأى إكراه ازيد من هذا؟

• وأما لما تسلط الصليبيون النصارى على المسلمين في بداية الحروب الصليبية في القرن الخامس الهجرى فقد ارتكبوا من الفظائع ما لا يتصور فقد قال إبن كثير في البداية والنهاية (الجزء ١٢ صـ١٦٥): ثم دخلت سنة إثنتين وتسعين وأربعمائة من الهجرة وفيها أخذت الفرنج - لعنهم الله - بيت المقدس - شرفه الله - وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار، وتبروا ما علوا تتبيرا. قال ابن الجوزى: «وأخذوا من حول الصخرة إثنين وأربعين قنديلاً من فضة، زنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام الى العراق مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان[١].

وقال في سير المتقدمين: «فتحوا أورشليم في الخامس عشر من شهر تموز الرومى سنة ١٠٩٩ م بعدما حاصروا خمس أسبوعات، وقتلوا غير المسيحيين،

---

(١) البداية والنهاية لإبن كثير.

فقتلوا أزيد من سبعين ألفاً من المسلمين، وجمعوا اليهود وأحرقوهم، ووجدوا في المساجد غنائم عظيمة».

– أما بالنسبة لتسلط النصارى ذوى الديانات والعقائد المختلفة على بعضهم البعض البروستانت على الكاثوليك والعكس فمشهور منها:

● قال في كشف الآثار «أما الكنيسة الرومانية فقد استعملت مرات كثير الاضطهادات والطرد المزعج ضد البروستانت، ويظن أنها أحرقت في النار أقل ما يكون مائتين وثلاثين ألفاً من الذين أمنوا بيسوع دون البابا، واتخذوا الكتب المقدسة وحدها هدى وإرشاداً لإيمانهم وأعمالهم، وقد قتلت أيضاً منهم ألوفاً وربوات بحد السيف والحبوس والكلبتين – وهى آلة لتخليع المفاصل بالجذب – وأفظع العذابات المتنوعة».

● وفي سنة ١٧٢٤ وضع الملك لويس الحادى عشر ثمانية عشر قانوناً،

أولها / أننا نأمر أن الديانة الكاثوليكية وحدها تكون مأذونة في مملكتنا، وأما الذين يتمسكون بديانة أخرى فليذهبوا إلى الإعتقال طول حياتهم، والنساء فلتقطع شعورهن ويحبسن إلى الموت.

ثانيها / إننا نأمر أن جميع الواعظين الذين جمعوا جماعات على غير العقائد الكاثوليكية، والذين علموا أو مارسوا عبادة مخالفة لها يعاقبون بالموت.

فتأمل كيف عامل كل من أهل الكتاب الآخر إذا تسلط عليه وقارن بين معاملة المسلمين لأهل الكتاب سواء اليهود أو النصارى عبر العصور.

الأمر الخامس:

أن حكم الجهاد في الشريعة المحمدية هكذا: يدعى الكفار أولاً بالموعظة الحسنة إلى الإسلام، فإن قبلوه فبها ويكونون كأمثالنا، وإن لم يقبلوا: فإن كانوا من مشركى العرب فحكمهم القتل كما كان هذا الحكم في الشريعة الموسوية في

حق الأمم السبع (كما ذكر في الأمر الثانى في سفر التثنية) والمرتد والذابح للأوثان والداعى إلى عبادتها، وإن كانوا أهل كتاب يدعون الى الصلح بقبول الجزية والإطاعة فإن قبلوا صارت دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا، وإن لم يقبلوا يحاربوا مع مراعاة الشروط التى هى مصرح بها في كتب الفقه كما كان مثله في الشريعة الموسوية في حق غير الأمم السبع – انتهى من كتاب إظهار الحق لرحمة الله هندى.

الرد
من النبع الصافي والمعين النقى - الكتاب والسنة

الجهاد في الإسلام:

هذه الحروب التى لم يشهد التاريخ أيمن منها وأقل إراقة للدماء وذهاباً بالنفس، ولا أعود منها على الإنسانية بالصالح العام والخير المشترك والسعادة الجمعاء، فلا يزيد عدد المقتولين من الفريقين (المسلم والكافر) في جميع الغزوات والسرايا والمناوشات من السنة الثانية للهجرة ودامت الى السنة التاسعة على ألف وثمانية عشر نفساً (المسلمون منهم (٢٥٩) والكفار (٧٥٩)) بينما المصابون في الحرب العالمية الأولى فيبلغ عددهم على الأقل واحد وعشرين مليون نسمة، عدد المقتولين منهم سبعة ملايين أما في الحرب العالمية الثانية، فعدد المصابين يبلغ ما لا يقل عن خمسين مليوناً لا يقل عدد المقتولين منهم عن ثمانية ملايين ونصف.

ومن ثم كانت الحروب الدينية الإسلامية حاقنة للدماء عاصمة للنفوس والأموال وفاتحة عهد السعادة والغبطة في العالم[١].

مقصود الجهاد في الإسلام:

مقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هى العليا، فمن إمتنع من هذا قوتل بإتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة، كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن، ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقتل بقوله أو فعله، لأن القتال هو لمن يقاتلنا، إذا

(١) ماذا خسر العالم للندوى.

أردنا إظهار دين الله كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]»

وفي البخارى عن عبد الله بن عمر: «**أن امرأة وجدت في بعض مغازى الرسول ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان**».

وذلك أن الله أباح من قتل النفوس ما يحتاج إليه في صلاح الخلق كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]». أى إن القتل وإن كان فيه شر وفساد ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر منه، فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه، ولهذا قال الفقهاء: إن الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة، يعاقب بما لا يعاقب به الساكت.

ولهذا أوجبت الشريعة قتال الكفار. ولم توجب قتل المقدور عليهم منهم، بل إذا أسر الرجل منهم في القتال، أو غير القتال، مثل أن تلقيه السفينة إلينا، أو يضل الطريق، أو يؤخذ بحيلة، فإنه يفعل فيه الإمام الأصلح من قتله، أو إستبعاده، أو المن عليه، أو مفاداته بمال أو نفس عند أكثر الفقهاء، كما دل عليه الكتاب والسنة[1].

نبي المحبة ورسول الرحمة والتسامح في فتح مكة:

بينما أساطين الكفر في مكة فريسة لتصوارت سوداء مخيفة كانت كابوساً ملازماً لا يفارقهم في منام أو يقظة. وهذه التصورات هى أن يسفك جيش الإسلام العرمرم دماءهم ويسبى نسائهم وذراريهم ويستولى على كل

(١) مجموع الفتاوى لإبن تيمية.

أموالهم وممتلكاتهم كغنيمة حرب. فيترك مكة خراباً يباباً تغطى شوراعها جثث القتلى منهم. تردد جبالها عويل الثكالى من نسائهم وصراخ الصبيان من أبنائهم اليتامى[١].

التفكير النبوى الراحم:

في نفس الوقت كان ﷺ يفكر تفكيراته النبوية النبيلة المشرقة كان يعد العدة ويضع الترتيبات لتكون مكة «عند سيطرة الجيش النبوى عليها» على غير الصورة المزعجة المخيفة التى تصورت قريش وخافت أن تكون عليها مكة عندما يسيطر عليها الجيش الإسلامى.

كان نبي المحبة ورسول الرحمة والتسامح أشد حرصاً من أهل مكة أنفسهم، على أن تتجنب هذه المدينة المقدسة ويلات الحرب ومآسى المعارك.

ورغم كل الجرائم والآثام التى إقترفها أهل مكة ورغم المحاولات الحاقدة التى قام بها هؤلاء للقضاء على الإسلام وإبادة المسلمين عن طريق تجرير الجيوش وتحريض مختلف العناصر والفئات المعادية للإسلام للقضاء عليه كما حدث في غزوة أحد وعلى مشارف الخندق...... رغم كل هذا فإن إبن مكة البار الذى يجر وراءه عشرة آلاف مقاتل قادرين على إبادة كل إنسان في مكة خلال ساعات قلائل، لم تجد الضغينة والرغبة في الإنتصار والإنتقام أى سبيل إلى قلبه الكبير الطاهر طيلة حياته.

ولهذا فإنه (وكما دلت تصرفاته النبيلة) كان حريصاً كل الحرص على أن ينعم كل أهل مكة المغلوبين بالأمن والأمان والإطمئنان على أرواحهم وممتلكاتهم عندما يدخل جيشه مكة فاتحاً ومنقذاً ومحرراً.

ولم لا؟؟؟ أليس هو الذى كان يدعو لقومه بالخير، والدماء تسيل على وجهه

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

الكريم بفعل أيديهم الباغية «**اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون**». أليس هو الذى قال يوم الحديبية وقد خرجت قريش وكانت قوية منيعة، خرجت بكل ما لديها من قوات لمحاربته ومنعه بحد السيف وصده عن البيت الحرام...... «**والله لا تدعونى قريش الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم !**».

إذن فقد كان القرشيون في مكة (وهم يتخيلون حجم العقاب الذى سينزله المسلمون بهم) يظنون أن محمداً ﷺ من نوع الفاتحين القساة الذين أول ما يفكرون في عمله (عندما ينتصرون) هو الإنتقام الفظيع الدامى الرهيب لأنفسهم من خصومهم الذين كانوا قد نالوا منهم.

وما دروا أن محمداً بن عبد الله هو نبي رحمة ورسول محبة بعثة الله رحمة للعالمين، لا يحقد ولايبغض بدافع من حب الإنتقام والإنتصار للنفس.

وإنما يسعى لإنقاذ البشرية، وهداية الضالين وإنقاذ المنحرفين، حتى وإن كانوا من الذين آذوه، ورامو قتله وإتبعوا كل السبل للتنكيل به وإرهابه وحمله على التخلى عن أمانة الرسالة العظمى[١].

الرسول يصدر أمره إلى الجيش بعد إستخدام السلاح في مكة إلا في حالة الدفاع عن النفس:

أصدر الرسول الأعظم ﷺ أوامره المشددة إلى عامة جيشه أن لا يستخدموا السلاح ضد أى إنسان عند دخول مكة، إلا من إعترضهم وقاومهم، كما أمر بأن لا يمس جيشه ممتلكات أو أموال أى إنسان من أهل مكة. وقد نفذ الجيش النبوى هذه التعليمات تنفيذاً كاملاً. فلم يحدث من الجيش النبوى ما يعكر على أهل مكة صفو أمنهم، اللهم إلا الذين أشهروا السلاح في وجه هذا الجيش.

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد احمد باشميل.

هذا وكان النبي ﷺ قد عقد إتفاقية تسليم وسلام لحقن الدماء وضمان أموال وممتلكات أهل مكة من قبل الجيش النبوى.

ولكى يتحقق هذا فقد أمر ﷺ وجعل من ضمن بنود الإتفاقية (منع التجول) على جميع سكان مكة بأن يلتزم كل إنسان بيته أو يلجأ إلى المسجد أو منزل أبى سفيان[١].

اليوم تعظم فيه الكعبة، اليوم أعز الله فيه قريشاً (اليوم يوم المرحمة):

يا للعجب من هذا الفاتح العظيم ﷺ الذى دخل مكة متواضعاً مطأطئاً رأسه حتى إن ذقنه لتمس راحلته، ولما سمع ﷺ أن سيد الأنصار سعد بن عبادة وكان قائد كتيبة الأنصار – لما سمعه يصرخ في وجه أبى سفيان ويقول (اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً).

فلما بلغ ذلك النبي ﷺ إستنكر مقالة سعد رضي الله عنه وطمأن الجميع قائلاً «**اليوم يوم المرحمة، اليوم يعظم الله فيه الكعبة، اليوم أعز الله فيه قريشاً**» ولم يكتف ﷺ بذلك بل ليزيل المخاوف أمر بعزل سعد وأعطى الراية لإبنه قيس بن سعد[٢][*].

النفر الذين أهدر الرسول ﷺ دمهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة:

هم عشرة نفر فقط عفا عن أكثرهم فلم يقتل منهم إلا القليل. وهم الذين قتلهم الجيش يوم دخول مكة قبل أن يتمكنوا من تقديم طلب إلى الرسول ﷺ بأن يعفوا عنهم والذين تم إعدامهم بمكة يوم الفتح هم ثلاثة رجال فقط[٣].

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

(٢) المصدر السابق.

(*) أصل الحديث في البخاري.

(٣) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

العفو العام عن أهل مكة:

بعد أن هدأت الأحوال في مكة وبعد أن بات المسلمون الفاتحون ليلة فيها، وقف ﷺ وقائد سلاح الفرسان خالد بن الوليد حوله يبعد الناس المزدحمين حوله، وقف الرسول على باب الكعبة وعضادتى الباب في يده وبيده المفتاح والمشركون في المسجد يزدحمون يكاد بعضهم يدوس البعض الآخر ليسمعوا ما سيقوله الرسول ﷺ. وبينما الناس واقفون يتنظرون وينظرون إلى الرسول الفاتح المنتصر بدأ ﷺ في إلقاء خطابه التاريخى الذى فيه أولاً أصدر عفواً عاماً عن جميع أهل مكة، كما أعلن بعض التشريعات التى يجب العمل بها، وأبطل عادات الجاهلية إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، كما حرم التعامل بالربا وأسقط الفوائد المترتبة على التعامل سابقاً بالربا والمتبقية لأصحابها. كذلك أعلن حرمة الكعبة إلى يوم القيامة..... كذلك أعلن وحدة النوع البشرى وأن لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى.

فهل هذا النبي الكريم ﷺ كما يقول الحاقدون والظالمون جاء بسفك الدماء وقتل النساء وإهلاك المخالفين وهل بعد هذا الموقف في فتحه لمكة حجة أو شبهة للمعاند المتعسف (١).

مثل أعلى للنبل والنزاهة والعفة والشرف العسكرى:

كان عليه الصلاة والسلام قد فتح مكة عنوة وكان في إستطاعته بعد أن إستسلمت له مكة أن يأخذ (كفاتح منتصر) من المغلوبين أهل مكة ما شاء من المال والسلاح.

أما السلاح فبرغم أن الأعراف الحربية تقضى بأن يصادر المنتصر كل قطعة سلاح في حوزة العدو المهزوم - فإن الرسول المنتصر ﷺ لم يستولى على شيء

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

منهـا إلا التى ألقت بهـا في الشوارع بعض الوحدات القرشية التى عصت أمر أبى سفيان وقاومت الجيش النبوى وهو يدخل مكة ثم إنهزمت.

أما الأسلحة المخزنة في البيوت، سواء كانت للتجارة أو للإستعمال الخاص، فلم يسمح الرسول ﷺ بمصادرة شيء منها، فلم يحدث أى انتقام لأى بيت من بيوت المهزومين القرشيين من قبل الجيش الإسلامى المنتصر بحثاً عن السلاح لمصادرته.

ولهذا بعد فتح مكة بأيام لما غزا الرسول ﷺ حنين إستعار أسلحة من صفوان إبن أمية الجمحى (وهو من كبار قادة المشركين في مكة) وعندما سأله صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: بل عارية ومضمونة حتى نؤديها.

وكل ما فعله النبي القائد المنتصر، هو أنه لما رأى ما عليه بعض جنده من فقر وعوز وفاقة، لما طلب من أغنياء مكة التى فتحها أن يعطوه من أموالهم قرضاً ليخفف به من الضائقة التى يعانى منها بعض الجند من أصحابه، على أن يسدد لهم القرض عندما يكون قادراً على ذلك، فأقرضه أغنياء مكة مائة وخمسين ألف درهماً أعادها إليهم (بعد معركة حنين) مشفوعة بالشكر والحمد لهم.

لقد كان بإمكانه (كفاتح منتصر على ألد عدو له) أن يأخذ بأسلوب المصادرة ما شاء من أموال أهل مكة الذين لم يتركوا وسيلة للقضاء عليه وعلى دعوته إلا وإتبعوها، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك ولكن لا غرابة فهو إنما جاء لتحرير البشرية لا لقهرها وإذلالها(١).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]»:

قال الطبرى (وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذى روى عن إبن عباس وهو أن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هدى به، وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عند الله

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذى كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله)[١].

وقال ابن عباس ﷺ: « من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والقذف » .

وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً قال: لو فجر الله عيناً للخلق غزيرة الماء، سهلة التناول، فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها، فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقى أناس مفرطون كسالى عن العمل، فضيعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها[٢].

من رحمته بالعالمين ترك قتل المنافقين:

لقد تعرض ﷺ لمحاولات اغتيال كثيرة فهل سمعتم أنه اقتص ممن ثبت أنه حاول اغتياله من المنافقين أو الكافرين وقد أشار عليه بعض أصحابه أن يقتل المنافقين (الذين أعلمه الله بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وأخبر حذيفة رضي الله عنه بهم) . فقال ﷺ أكره أن يتحدث العرب أن محمداً يقتل أصحابه .

ولقد سحر ﷺ – سحره لبيد بن الأعصم اليهودى كما في الصحيح وربما قابل الذى سحره بعد ذلك في طرق المدينة فلم يتعرض له حتى ولم يخبره بما فعله .

ولقد سم ﷺ – سمته زينب اليهودية بعد غزوة خبير وأكل هو وأصحابه من الشاة المسمومة التى أكثرت السم في الذراع لأنه ﷺ يحبه فلم يقتلها إلا بعد أن مات بعض الصحابة من السم[٣][*].

---

(١) تفسير الطبري .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي .

(٣) زاد المعاد لابن القيم .

(*) أصل القصة في البخاري .

وقال ابن القيم: وجيء بالمرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: أردت قتلك، فقال: «**ما كان الله ليسلطك علىَ**»، فقالوا: ألا تقتلها؟ قال: «**لا**»، ولم يتعرض لها، ولم يعاقبها، واحتجم على الكاهل، وأمر من أكل منهم فاحتجم، فمات بعضهم(١).

وقد اختلف في قتل المرأة، والصحيح أنه لما مات بشر، قتلها، وبقى الرسول ﷺ يعاوده ألم السم حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وقد روى البخارى عن عائشة ﵂ قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرض موته الذى مات فيه: «**ياعائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم**»(٢).

تسامح القائد الأعلى النبي ﷺ مع يهود خيبر:

بعد أن انهارت مقاومة يهود خيبر للنبي ﷺ وأيقنوا أنهم مأخوذون عنوة، جاء سيدهم كنانة بن أبى الحقيق والوفد المرافق له ليفاوضوا النبي ﷺ، وكان من المفترض أن حكمهم كحكم الذين تؤخذ حصونهم وأراضيهم عنوة، فيؤسر مقاتلهم وتسبى نساؤهم وذراريهم، وتؤخذ كل أموالهم غنيمة للمسلمين دونما إستثناء، كأعداء لم يسلموا إلا بعد حصار وحرب وقتال.... فإن النبي ﷺ قد تسامح مع هؤلاء اليهود، حيث أبرم معهم اتفاقية أهم ما حصلوا عليه فيها (حقن دمائهم وإعفاء نسائهم وذراريهم من السبي) وهو أمر ما كانوا ليظفروا به لولا روح التسامح التى عاملهم بها النبي ﷺ(٣).

---

(١) زاد المعاد لابن القيم.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري.
(٣) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

نبي الرحمة ونبي الملحمة:

قال القرطبى: «معناه إفاضة النعم على المحتاجين والشفقة عليهم واللطف بهم وقد أعطى هو وأمته منها ما لم يعط أحداً من العالمين».

فما وجه كونه نبي الرحمة ونبي الحرب في آن واحد؟

أن الله بعثه لهداية الخلق إلى الحق وأيده بمعجزات فمن أبى عذب بالقتال والإستئصال فهو نبي الملحمة التى بسببها عمت الرحمة وثبتت المرحمة[١].

ولقد كان ﷺ رحيماً بالبشرية حتى في أوامره لهم بالجهاد حيث يروى عنه ﷺ أنه قال: «**من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً أو آذى مؤمناً فلا جهاد له**» وكان ﷺ يشدد ويغلظ في قتل الإنسان حيث روى البخارى أن النبي ﷺ أخبر عن المجاهد الذى يجاهد في المعركة جهاداً شديداً أنه من أهل النار لأنه قتل نفسه[٢].

هل الجهاد معناه نشر الإسلام بالسيف؟

قال الدكتور أكرم ضياء العمرى في السيرة النبوية الصحيحة[٣]: «إن الجهاد يمثل فريضة من أبرز الفرائض الإسلامية، وهو يوضح الهدف الكبير الذى يسعى المسلمون إلى تحقيقه، وهو حرية إعتناق الإسلام في سائر أرجاء الأرض وتكوين القوة العسكرية والسياسية اللازمة لدعم هذه الحرية وحماية المسلمين الجدد، ورغم أن إعتناق الإسلام على صعيد الأفراد لا يمكن أن يتحقق بالقوة إذ (لا إكراه في الدين) ولكن الإعلان عنه والتمكين له وحماية معتنقيه في سائر المعمورة يقتضى التفوق على القوى السياسية والعسكرية الأخرى، خاصة في العالم الذى ظهر فيه الإسلام قبل أربعة عشر قرناً حيث كانت الحكومات المعاصرة تمنع أتباعها من إعتناق الإسلام وتوقع بالمسلمين الفتنة مثل ما حدث من قبل الملأ من قريش

(١) فيض القدير للمناوي.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري.
(٣) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري.

بمكة ومثل موقف الفرس والروم المتاخمين لجزيرة العرب في الشام ومصر.

وقد أوضحت النصوص الإسلامية أن تشريع الجهاد ليس مؤقتاً بظرف طارئ وإنما هو فرض ديني دائم ففي الحديث «**الجهاد باق إلى يوم القيامة**» و«**من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق**» رواه مسلم. وهو من فروض الكفاية إلا إذا غزيت ديار الإسلام في عقرها أو نادى الإمام بالنفير العام فيتعين على الجميع الجهاد.

وقال في الفقرة التالية (وكان النداء بتحرير الإنسان من العبودية لغير الله والمساواة بين الناس وتكريم الإنسان أياً كان لونه أو جنسه يسبق قوات المسلمين حيث توجهت، فيجتذب النداء بالمبادئ السامية القلوب قبل أن تصدعها السيوف)، وهذا هو السر في إنتشار الإسلام وإنتصار قواته.

وقد حاول بعض الدارسين لحركة الفتوح الإسلامية أن يضعوا تفسيرات متنوعة لنجاحها وإمتدادها السريع، فذهب كاتباني وبعض المستشرقين الآخرين إلى تفسيرها **بالدوافع الإقتصادية**، بدعوى أن جزيرة العرب تعرضت لتغيرات مناخية أدت الى نضوب المياه والجفاف مما إستدعى خروج الموجات البشرية منها إلى الهلال الخصيب حيث تتوافر دواعى الرخاء الإقتصادى. وأن حركة الفتح الإسلامى موجة من هذه الموجات. ولكن الدراسة الموضوعية تبين أن الجزيرة العربية لم يحدث فيها تغيير مناخى قبيل الإسلام، ولم يحدث إنقلاب هام في الظروف الإقتصادية المتنوعة ولم تنتقل القبائل العربية بهذا الحجم الهائل إلى الهلال الخصيب إلا بعد ظهور الإسلام وتوحدها تحت رايته وإنطلاقها لتحقيق مبادئه.

وكذلك يلاحظ من دراسة الرسائل المتبادلة بين الخلفاء، وقادة الفتوح ومن متابعة أخبار الفتح الأخرى، مدى سيطرة العقيدة على الجند وتحقيقها للإنضباط الدقيق في صفوفهم، وأن المثل العليا والرغبة في هداية الناس كانت تمثل الروح المهيمنة على القيادة ومعظم الجيش.

ولا يمنع ذلك من القول بأن الغنائم كانت تحفز بعض المقاتلين وتوسع عدد

المشاركين، خاصة من الأعراب، لكن تفسير حركة الفتح ومعرفة الروح العامة المسيطرة على تفكير القيادة التى خططت للفتح ينبغى ألا تتأثر كثيراً بمواقف فردية لبعض الأعراب المقاتلين، ولا شك أن القيادة كانت تحرض على هداية الناس ولو فوت ذلك عليهم الغنائم الكثيرة. وإن تخفيض الضرائب على سكان المناطق المفتوحة، وإبقاء الأملاك الشخصية والمحافظة على البنية الإقتصادية لها يدل على أن روح الهداية والإعمار كانت تتحكم في موقف الفاتحين.

وهناك تفسير آخر لحركة الفتح يتمثل **بالعوامل السياسية**، فإن إهتمام الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين بمنع حركات الردة ومحاولات تمزيق كيان الأمة الإسلامية جعلهم يوجهون الطاقات في حركة فتح شاملة بدل أن تنصرف إلى الفتن والشقاق مما أدى الى وحدة الصف الداخلى، ورغم أن هذا التصور يبين جانباً إيجابياً، ويكشف عن بعض الحكمة من تشريع الجهاد، إلا أنه لا يمكن أن تفسر به حركة الفتح الإسلامى، فإن أكثر الشقاق والفتن كان يقوم بها الأعراب المرتدون في خلافة أبى بكر الصديق وقد منعهم أبو بكر بعد إخضاعهم لسلطان الدولة من المشاركة في الفتوح وجردهم من السلاح تأديباً، ولعدم الوثوق بإخلاصهم، ولأنهم لا يصلحون أن يمثلوا طلائع الفتح لعدم إستكمالهم لمقومات الشخصية الإسلامية تصوراً وسلوكاً مما لا يعطى سكان المناطق المفتوحة صورة صحيحة عن الإسلام، فكان الإعتماد على سكان المدن (المدينة - مكة - الطائف) التى إستقرت فيها معانى العقيدة وآثارها والتربية العميقة، وكان سائر القادة من الصحابة رضوان الله عليهم.

وهناك تفسير آخر لحركة الفتح يتسم **بالطابع التبريرى**، وهو أن حركة الفتح ذات صبغة دفاعية وأنها استخدمت الهجوم للدفاع عن الدولة الإسلامية أمام خصومها الأقوياء، وهذا التفسير يسود معظم الكتابات التى حررتها أقلام المؤرخين العرب والمسلمين، فهم أمام المفاهيم السلمية التى سادت إيديولوجيات

القرن العشرين، وكراهية الناس للحرب لآثارها السيئة في دمار الحضارات وإهلاك البشر وابتلائهم بالعاهات والتشرد، ولظهور المؤسسات الدولية المعنية بالتوفيق بين مصالح الدول المتعارضة والمساعدة في إقرار السلام الدولى وإحلال التفاوض والحوار لحل المشاكل الدولية بدلاً من الحروب. فروح العصر جعلت كثيراً من الكتاب عن حركة الفتح ينحون منحى تبريرياً يهدف الى التوفيق بين روح العصر الحديث وفكرة الجهاد في الإسلام، ويرجع ذلك إلى عوامل نفسية وفكرية متداخلة منها سيطرة مفاهيم الحضارة الغربية على الكثير من المتعلمين من المسلمين، بسبب الغزو الفكرى، وما ولده ذلك من الإحساس بالضعف أمام الغرب ومحاولة تبرير كل ما يتعارض مع روح حضارته وتصوراتها الفكرية السلوكية، ومنها عدم فهم حقيقة الجهاد وأهدافه بحيث يتميز في الأذهان بوضوح أن الجهاد لا يهدف إطلاقاً إلى فرض العقيدة الإسلامية على الناس بل يهدف الى إزالة معوقات إنتشار الإسلام في الأرض سواء بإضعاف القوى السياسية المعاصرة أو القضاء عليها بحيث يتم إستعلاء المسلمين في الأرض وتمتنع فتنة أحد عن الإسلام حيثما كان.

وقال الدكتور أكرم في موضع آخر: «ويكفي أن القرآن الكريم أوضح بما لا يقبل الشك حرية الناس في إختيار الإسلام أو البقاء على النصرانية واليهودية حتى داخل المجتمع الإسلامى وضمن سيادة الدولة الإسلامية، وهذا ما تثبته آيات القرآن الكريم وتدعمه الوقائع التاريخية الصحيحة حيث رحبت الشعوب بتحرير الإسلام لها من سيطرة الرومان والفرس، وعبر القبط في مصر واليعاقبة في الشام عن سرورهم بالحرية الدينية التى أعلنها الإسلام، ولولا هذا الإعلان الصادق لحرية المعتقد لذابت حتى الوقت الحاضر رغم مرور أربعة عشر قرناً على ظهور الإسلام.

إن دراسة الواقع التاريخى لإنتشار الإسلام تكشف عن حقيقة إعتناق الناس للإسلام منذ عصر السيرة، وأنه كان يتم في ظروف السلم بنطاق أوسع بكثير من

ظروف القتال، فعدد من دخله بعد صلح الحديبية كان أضعاف عدد من دخله قبل الصلح.

وكانت البعثات الدعوية في عصر السيرة إلى البوادى تترى رغم الأخطار المحدقة بها، وقد إستمر إنتشار الإسلام بعد إنحسار سلطانه العسكرى والسياسي، وما زال يمتد في العصر الحديث فلا شك إذاً في تهافت مقولة أن الإسلام إنتشر بالسيف.

إن وصف حركة الفتح بأنها دفاعية هو محاولة تبريرية لا تصمد لأية مناقشة جادة، فهل إعتدى سلطان الأندلس أو ما وراء النهر على حدود المسلمين ليفتحوها؟ وهل تأمين الحدود يقتضى التوغل في القارات الثلاث، آسيا وأوروبا وأفريقيا حيث وقعت الأحداث الخطيرة والمواقع الحاسمة بعيداً عن جزيرة العرب، فكانت «توربواتيه» جنوب فرنسا وكان فتح كريت وجنوب إيطاليا وكانت موقعة طراز على نهر طلس في ماوراء النهر وأخيراً حصار فيينا.....

لذا فإن التفسير الصحيح لحركة الفتح هو ما أعلنه الصحابى الجليل ربعي بن عامر أمام قائد الفرس لما قال له ماذا جاء بكم قال: «**إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة**»[1].

وصف الصحابة الفاتحين:

لم يكونوا خدمة جنس ورسل شعب أو وطن، يسعون لرفاهية ومصلحته وحده، ويؤمنون بفضله وشرفه على جميع الشعوب والأوطان، لم يخلقوا إلا ليكونوا حكاماً، ولم تخلق إلا لتكون محكومة لهم، ولم يخرجوا ليؤسسوا إمبراطورية عربية ينعمون ويرتعون في ظلها، ويشمخون ويتكبرون تحت

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري.

حمايتها، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب وإلى حكم أنفسهم، إنما قاموا ليخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده لاشريك له ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الإديان إلى عدل الإسلام(١).

فالأمم عندهم سواء، والناس عندهم سواء، الناس كلهم من آدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى. قال تعالى: «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]»

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص عامل مصر – وقد ضرب ابنه مصرياً – وافتخر بآبائه قائلاً: خذها من ابن الأكرمين، فاقتص منه عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً(٢).

فلم يبخل هؤلاء بما عندهم من دين وعلم وتهذيب على أحد، ولم يراعوا في الحكم والإمارة والفضل نسباً ولا لوناً ووطناً بل كانوا سحابة انتظمت البلاد وعمت العباد، وغوادى مزنة أثنى عليها السهل والوعر، وإنتظمت بها البلاد والعباد، على قدر قبولها وصلاحها. في ظل هؤلاء وتحت حكمهم إستطاعت الأمم والشعوب – حتى المضطهدة منها في القديم، أن تنال نصيبها من الدين والعلم والتهذيب والحكومة، أن تساهم العرب في بناء العالم الجديد، بل إن كثيراً من أفرادها فاقوا العرب في بعض الفضائل وكان منهم أئمة هم تيجان مفارق العرب وسادات المسلمين من الأئمة والفقهاء والمحدثين، حتى قال ابن خلدون «من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، سواء في العلوم الشرعية والعقلية، إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العرب في نسبته، فهو عجمى في لغته ومرباه ومشيخته، مع أن الملة بدأ حملها العرب وصاحب شريعتها عربى ﷺ»(٣).

(١) ماذا خسر العالم للندوي.

(٢) تاريخ عمر لإبن الجوزي.

(٣) ماذا خسر العالم للندوي.

قال أبو الحسن الندوى: «لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب، ومن ضيق الحياة فيها، ومن ضيق التفكير في مسائلها ومصالحها ومن ضيق التناحر على سيادتها، ومن ضيق التكالب على حطامها القليل وملكها الضئيل وعيشها الذليل، إلى عالم جديد من السيادة الروحية والخلقية والعلمية والسياسية، ليس الدانوب الفائض والنيل السعيد والفرات العذب والسند الطويل إلا سواقى حقيرة وترعاً صغيرة فيه، وليست جبال الألب والبرانس وعقاب لبنان وقمم هملايا إلا تلالاً متواضعة وسدوداً صغيرة، وليست البلاد الواسعة كالهند والصين، وتركستان إلا أحياء ضيقة وحارات ضيقة، ونقطاً مغمورة في هذا العالم، وليست هذه الأرض كلها إذا نظر إليها من إرتقى إلى قمة هذه السيادة إلا خريطة ملونة يراها الطائر المحلق في السماء، وليست الأمم الكبيرة - مع ثقافتها وحضارتها وآدابها - إلا أسراً صغيرة في أمة كبيرة» إلى أن قال رحمه الله «لقد كانت - ولا تزال - قيادة هذا العالم بجدارة وإستحقاق أشرف قيادة وأعظمها وأقواها في تاريخ الزعامة والقيادة وقد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا لهذه الدعوة الإسلامية وتفانوا في سبيلها - فأحبهم الناس في العالم حباً لم يعرف له نظير، وقلدوهم في كل شيء تقليداً لم يعرف له نظير، وخضعت للغتهم اللغات، ولثقافتهم الثقافات، ولحضارتهم الحضارات. فكانت لغتهم هى لغة العلم والتأليف في العالم المتمدن من أقصاه إلى أقصاه، وهى اللغة المقدسة الحبيبة التى يؤثرها الناس على لغاتهم التى نشأوا عليها، ويؤلفون فيها أعظم مؤلفاتهم وأحب مؤلفاتهم، ويتقنونها كأبنائها وأحسن، وينبغ فيها أدباء ومؤلفون يخضع لهم المثقفون في العالم العربى، ويقر بفضلهم وإمامتهم أدباء العرب ونقادهم.

وكانت حضارتهم هى الحضارة المثلى التى يتمجد الناس ويتظرفون بتقليدها ويحث علماء الدين على تفضيلها على الحضارات الأخرى ويطلقون على كل من يخالفها من الحضارات - اسم «الجاهلية» و«العجمية» وينهون عن إتخاذ شعائرها ومظاهرها.

وبقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة والناس لا يفكرون في ثورة عليها، وفي التخلص منها، كما هى عادة المفتوحين والأمم المغلوبة على أمرها في كل عهد، لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح أو المحكوم بالحاكم أو الرقيق بالسيد القاهر أو المغلوب بالمؤمن، وعلى الأكثر إنما هى صلة التابع بالمتبوع الذى سبقة بمعرفة الحق والإيمان بالدعوة والتفانى في سبيلها، فلا محل للثورة، ولا محل للتندم، ولا محل لنكران الجميل، إنما اللائق أن يقولوا: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]» وهكذا كان، فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبر العرب المنقذ من الجاهلية والوثنية، والداعى إلى دار السلام، والقائد إلى الجنة والمعلم للحضارة، والأستاذ في الأدب»(١).

الفرق بين حكم الجباية وحكم الهداية:

روى أن عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين قال لعامله مرة «**ويحك إن محمداً ﷺ بعث هادياً ولم يبعث جابياً**». وهذه الجملة تعرب عن روح الحكومة الدينية التى تأسست على منهاج النبوة، وتسير على آثار الأنبياء في خطتها وسياستها، فتكون عنايتها وإهتمامها بالدين وبإصلاح أخلاق المحكومين وبما يعود عليهم بالنفع والخير في الآخرة أكثر من إهتمامها بالجباية والخراج وأنواع المحاصيل والإيراد (ويلحق به البترول المسمى بالذهب الأسود)، فالحكومة الدينية تنظر في جميع مسائل السياسة والمالية من الوجهة الدينية وتقدم المبادىء الدينية والخلقية على المنافع والمصالح المادية، فتمنع الخمر وتحرم الزنى وأنواع الخلاعة والفجور والعقود المالية الفاسدة النافعة للأفراد المضرة بالمجتمع، فتحظر الربا والقمار وإن كان ذلك يرجع على الحكومة بالخسارة المالية الفادحة، وتشرع مشاريع إصلاحية وتراقب الأخلاق وتحرس الدين وتعنى بتهذيب النفوس وإن كان ذلك يكلفها أموالاً طائلة وميزانية ضخمة وهذا كقوله تعالى: «﴿ **الَّذِينَ إِن**

(١) ماذا خسر العالم للندوي.



مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج : ٤١]»[١].

شبهات حول الفتوحات الإسلامية:

● **شبهة أنها كانت حروباً دينية:**

جماع هذه الشبهة يلخصها الدكتور جميل المصرى في كتابه (دواعى الفتوحات الإسلامية ودواعى المستشرقين)[٢]:

«إن المسلمين أصحاب عقيدة، ولكنهم توسلوا بالتعصب الأعمى، وأخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر والإرغام، وخاضوا إلى ذلك في بحار الدم والقسوة، وأنهم كانوا يحملون القرآن بإحدى أيديهم، والسيف باليد الأخرى».

ونقول: رغم هذا الإفك المبين، ومواقف هؤلاء المبطلين الذين يعرفون حقيقة الإسلام ودعوته أكثر من بعض المسلمين، كما قال تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٤٦]»، بيد أن الله سبحانه أقام حجة عليهم ودحض شبهاتهم بأقلامهم، وألسنتهم حيث سخر لهم من يفند شبهاتهم من بنى جنسهم ومن جلدتهم ويتكلمون بألسنتهم، ومن أولئك المستشرقين روزنتال.

يقول المستشرق روزنتال:

«........ وقد نمت المدنية الإسلامية بالتوسع لا بالتعمق، وداعية الى العقيدة مناقشة لتلك الحركات الفكرية الموجودة...... وفوق كل ذلك تقدم الإسلام وتهاوت الحواجز القديمة من اللغة والعادات، وتوفرت فرصة نادرة لجميع الشعوب والمدنيات لتبدأ حياة فكرية جديدة على أساس المساواة المطلقة بروح المنافسة الحرة».

---

(١) ماذا خسر العالم للندوي.

(٢) دواعي الفتوحات الإسلامية لجميل المصري.

ويقول فون كيرمير :

« كان العرب المسلمون في حروبهم مثال الخلق الكريم، فحرم عليهم الرسول قتل الرهبان، والنساء والأطفال، والمكفوفين، كما حرم عليهم تدمير المزارع، وقطع الأشجار وقد إتبع المسلمون في حروبهم هذه الأوامر بدقة متناهية، فلم ينتهكوا الحرمات، ولا أفسدوا المزارع، وبينما كان الروم السهام المسمومة، فإنهم لم يبادلوا أعداءهم جرماً بجرم، وكان نهب القرى وإشعال النار قد درجت عليها الجيوش الرومانية في تقدمها وتراجعها، أما المسلمون فقد احتفظوا بأخلاقهم المثلى، فلم يحاولوا من هذا شيئاً » .

وأجاد المستشرق غوستاف لوبون بالفعل في طريقة عرضه لعدم إكراه المسلمين الناس على الإسلام، وبين أن الإسلام إنتشر بالدعوة وبدون إكراه .

ويقول الدكتور جميل المصري : والواقع أن مصادرنا لم تبخل علينا بالنصوص الموثقة التى لا تدع مجالاً للشك في ان المسلمين لم يكرهوا أحداً على إعتناق الإسلام، منفذين أمر الله سبحانه وتعالى : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة:٢٥٦] وأما إقبال الشعوب على الإسلام فكان سببه ما لمسوه في الإسلام نفسه، فهو النعمة العظيمة، ولما لمسوه من المسلمين من التخلق بأخلاق الإسلام والإلتزام بأحكامه وأوامره ونواهيه، ولما لمسوه في القادة والجند الذين كانوا يقومون بالدعوة بالتطبيق العملى، فتميزت مواقفهم بأنبل المواقف التى عرفها التاريخ العالمى، فقد كان الخلفاء والقادة يوصون جندهم بالإستعانة بالله، والتقوى وإيثار أمر الآخرة على الدنيا، والاخلاص في الجهاد، وإرادة الله في العمل، والابتعاد عن الذنوب(١) .

---

(١) دواعي الفتوحات الإسلامية لجميل المصري .

نموذج مشرق للفاتح المسلم:

كان جهاد الشام من أعظم جهاداته، وكان قد جاء بنفسه الشريفة عند محاصرة إيليا (بيت المقدس)، ولما تسلط على إيليا وقبل النصارى الجزية ما قتل أحداً ولا أكرهه على الإيمان، وأعطاهم شروطاً حسنة، وقد اعترف به مؤرخوهم ومفسروهم، إنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وفيما يلي نص المعاهدة كما أوردها الطبرى:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملاتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها اللصوص والروم فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، من أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمسة عشر[١].

---

(١) تاريخ الطبري.

المطعن الثالث
عدم ظهور المعجزات على يده ﷺ

قالوا إن من شرط النبوة ظهور المعجزات على يد من يدعيها، وما ظهرت معجزة على يد محمد ﷺ كما يدل عليه ما وقع في سورة الأنعام ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]» وكذا ما وقع في تلك السورة ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]» وكذا ما وقع في سورة بني إسرائيل: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]».

الرد
من مصادر أهل الكتاب(١)

أولاً / هذه الآيات التى إحتجوا بها ليس فيها أى حجة على أقوالهم كما يلى :

فأما قوله تعالى : ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ الواقع فى الآية الأولى العذاب الذى إستعجلوه بقولهم ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ومعنى الآية ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ أى: العذاب الذى تستعجلونه. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ فى تعجيل العذاب وتأخيره ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ أى: يقضى القضاء الحق من تعجيل وتأخير. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ أى: القاضين. فحاصل الآية أن العذاب ينزل عليكم فى الوقت الذى أراد الله إنزاله ولا قدرة لى على تقديمه أو تأخيره، وقد نزل عليهم يوم بدر وما بعده، فلا تدل هذه الآية على أن محمداً ﷺ لم تصدر عنه معجزة.

وأما قوله: ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ أى مقترحاتهم ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ إستفهام إنكار ﴿أَنَّهَا﴾ أى: الآية المقترحة ﴿إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ وهذا يدل على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.

أى كسائر الرسل، وما كان مقصودهم بهذه الإقتراحات إلا العناد واللجاج، ولوجاءتهم كل آية لقالوا: هذا سحر، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤].

وكذا حال بعض آيات أخرى يفهم منه فى الظاهر نفي إظهار الآية، ولكن المقصود به نفى المعجزة المقترحة، ولا يلزم من هذا النفى نفى المعجزات مطلقاً، ولا يلزم على الأنبياء أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون، بل هم لا يظهرون إذا طلب المنكرون عناداً أو إمتحاناً أو إستهزاءاً، وأورد لهذا الأمر شواهد من العهد الجديد.

– فى الباب الثامن من إنجيل مرقس هكذا «فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورون طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه فتنهد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية»

فالفريسيون طلبوا معجزة من عيسى عليه السلام على سبيل الإمتحان، فما أظهر معجزة، و لا أحال فى ذلك الوقت إلى معجزة صدرت عنه فيما قبل، ولا وعد بإظهارها فيما بعد أيضاً، بل قوله: «لن يعطى هذا الجيل آية» يدل على أن المعجزة لا تصدر عنه فيما بعد هذا البته، لأن لفظ الجيل يشمل لجميع الذين كانوا فى زمانه.

– فى الباب الثالث والعشرين من إنجيل لوقا هكذا «وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جداً لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه وسأله بكلام كثير فلم يجب بشيء ووقف رؤساء الكهنة يشتكون عليه بإشتداد فإحتقره هيرودس مع عسكره وإستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً ورده إلى بيلاطس».

– فى الباب السابع والعشرين من إنجيل متى هكذا «وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص

نفسك إن كنت إبن الله فإنزل عن الصليب وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزءون مع الكتبة والشيوخ قالوا خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها. إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن من الصليب فنؤمن به قد إتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده. لأنه قال أنا ابن الله وبذلك أيضاً كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه».

– فما خلص نفسه عيسى عليه السلام فى هذا الوقت، وما نزل عن الصليب وإن عيره المجتازون ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ واللصان.

– ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ كانوا يقولون: إنه إن نزل عن الصليب نؤمن به، فكان عليه دفع العار، ولإلزام الحجة أن ينزل مرة عن الصليب، ثم يصعد، ولكنهم لما كان مقصودهم العناد والإستهزاء ما أجابهم عيسى عليه السلام.

– فى الباب الرابع من إنجيل متى هكذا «فتقدم إليه المجرب وقال له» إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فإطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك قال له يسوع: مكتوب أيضاً «لا تجرب الرب إلهك» فطلب إبليس على سبيل الإمتحان من عيسى عليه السلام معجزتين، فما أجاب بواحدة منهما واعترف فى المرة الثانية أنه لا يليق بالمربوب أن يجرب ربه، بل مقتضى العبودية مراعاة الأدب وعدم التجربة.

وإذا كان أهل الكتاب يحتجون بما فى القرآن على أن النبى ﷺ لم يصدر منه معجزة فنقول: إن عين الإعتساف وخلاف الإنصاف التمسك ببعض الآيات القرآنية دون بعض، فإن المعجزات المحمدية مصرح بها فى القرآن والأحاديث

الصحيحة. ففى القرآن مواضع كثيرة تثبت المعجزات النبوية المحمدية، وجاء ذكرها إجمالاً أيضاً فى مواضع متعدد من القرآن:

- ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصافات: ١٤-١٥] وفى الكشاف «وإذا راوا آية من آيات الله البينة كإنشقاق القمر ونحوه ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون فى السخرية، أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها[١].

- فى سورة القمر ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢].

- فى سورة آل عمران ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] وهى الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التى تثبت بمثلها النبوة.

ولفظ البينات غالباً يستعمل فى القرآن بمعنى المعجزات، وإستعماله فى غيرها قليل جداً، فلا يحمل على المعنى القليل بدون القرينة القوية، ففى سورة البقرة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وفى النساء ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣]، وفى سورة المائدة ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠] وفى

(١) الكشاف للزمخشري.

سورة طه : ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢].

– فى سورة الأنعام ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١] كقولهم: الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ كأن كذبوا القرآن والمعجزات، وسموها سحراً، وإنما ذكر ﴿ أَوْ ﴾ وهم قد جمعوا بين الأمرين تنبيهاً على أن كلا منهما وحده بالغ غاية الإفراط فى الظلم على النفس.

– وفى الكشاف: « جمعوا بين أمرين متناقضين، فكذبوا على الله بما لا حجة عليه، وكذبوا بما ثبت بالحجة والبينة والبرهان الصحيح، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، و« هؤلاء شفعاؤنا عند الله »، ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب، فكذبوا القرآن والمعجزات، وسموها سحراً، ولم يؤمنوا بالرسول ﷺ[١].

النوع الثانى من أسباب خسرانهم تكذيبهم بآيات الله، والمراد منه قدحهم فى معجزات محمد ﷺ وطعنهم فيها، وإنكارهم كون القرآن معجزة قاهرة بينة.

وفى تلك السورة أيضاً ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قال الرازى فى التفسير ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ﴾ أنهم متى ظهرت لهم معجزة قاهرة[٢].

---

(١) تفسير الزمخشري (الكشاف).
(٢) تفسير الرازي.

الرد
من النبع الصافى والمعين النقى - الكتاب والسنة

معجزات النبى ﷺ أكثر من أن تحصر وأوسع من أن تذكر لو كان أعداء الإسلام يفقهون، ولو تأملوا بنظر الإنصاف وتركوا الإعتساف لعلموا أن النبى ﷺ أيده الله بخوارق ومعجزات فاقت كل نبى من الأنبياء قبله وإنفرد عنهم بالمعجزة الخالدة المستمرة المتجددة وهى القرآن الكريم.

معجزات النبى ﷺ:

معنى المعجزة: قال شيخ الإسلام إبن تيمية «المعجزة خارق للعادة» غير معتاد لغير الأنبياء بحيث لا يقدر عليه إلا الله الذى أرسل الأنبياء ولايقدر عليه غير الأنبياء لا بحيلة ولا عزيمة ولا إستعانة بشيطان ولا غير ذلك.

فالمعجزة لفظ جامع لكل عمل خارق للعادة يحدث بقدرة الله المباشرة مقترناً بالنبوة والرسالة معجزاً للبشر يظهر الله على يد الرسول للدلالة على صدقه[١].

الفروق بين المعجزة والآية والكرامة:

المعجزة والآية:

لهم شبه وانطباق حيث أنهما من نفس المصدر وهو تأييد لله لأنبيائه ورسله صلوات الله عليهم وسلامه غير أن المعجزة تحتاج الى تحضير مسبق من النبى أو الرسول قولاً وعملاً كالدعاء وغيره والآية لا تحتاج الى ذلك مطلقاً حيث تظهر بشكل عرضى دون تدخل من النبى المرسل، كما أن غاية الآية تنحصر فى تثبيت النبى المرسل – فى معظم الأحيان – حتى يحقق رسالته.

(١) النبوات لإبن تيمية.



من هنا يمكننا إعتبار عصا موسى عليه السلام آية ومعجزة فى آن معاً، بدليل أنه ألقاها، ولم يكن قبل يعلم بأمرها فعندما سأله أولاً ﴿مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٧-١٨]. ولم يكن يعلم أنه سيكون لها شأن فيما بعد ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٩-٢١]، فلما ألقاها موسى وابتلعت حبال السحرة وعصيهم بأمر من ربه تعالى صارت فى هذا الوقت معجزة.

الكرامة:

خارقة أيضاً للعادة بأمر من عند الله يكرم الله بها من إصطفاه من عباده المتقين بدون تحد وهذا لتثبيتهم أو لحاجة فى الدين أو لحاجة بالمسلمين. وهذه الكرامة للولى لا تدل على أنه معصوم أو يجب طاعته فى كل ما يقوله[١].

خوارق الكهان والسحرة:

فروق كثيرة تفرق بين المعجزة أو الآية أو الكرامة من ناحية وبين خوارق الكهان من ناحية أخرى كما يلى:

- من جهة ما يخبر به الساحر أو الكاهن فإنه لابد من الكذب فيه أما ما تخبر به الأنبياء لا يكون إلا صدقاً.
- من جهة ما يؤمر به فإن الأنبياء لا يأمرون إلا بالعدل ولا يفعلون إلا العدل أما السحرة فإنهم لا بد لهم من الظلم والأمر بالعدوان على الخلق وفعل الفواحش والشرك والقول على الله بلا علم.
- من جهة الخارقة نفسها، فإنها معتادة لغيرهم ويمكن أن تعارض.
- من جهة الشخص نفسه، فإنه كما قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾

(١) النبوات لإبن تيمية.

[الشعراء: ٢٢٢] فإذا قيل إن النبوة تنال بالإكتساب فهى إنما تنال بعبادة الله وطاعته فإنه لا يقول عاقل إن أحداً يصير نبياً بالكذب والظلم بل بالصدق والعدل والنبوة مستلزمة لإلتزام الصدق والعدل وحينئذ فيمتنع أن صاحبها يكذب على الله فإن ذلك يفسدها بخلاف من خالف الأنبياء من السحرة والكهان وأهل البدع والفجور من أهل الملل أهل الكتاب والمسلمين فإن هؤلاء تحصل لهم الخوارق مع الكذب والإثم(١).

من إرهاصات النبوة:

معجزة شق الصدر:

وقعت أحداث شق صدر النبى ﷺ وغسله ولأمه مرتين على الصحيح، الأولى عندما كان طفلاً فى الرابعة من عمره، يلعب فى بادية بنى سعد، وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه حادثة الشق الأولى عن أنس بن مالك «**أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقه فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره - فقالوا إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره**»، ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة وإعداد للعصمة من الشيطان ومن الشر ومن عبادة غير الله، فلا يحل فى قلبه شىء إلا التوحيد وقد دلت أحداث صباه على تحقيق ذلك فلم يرتكب إثماً ولم يسجد لصنم رغم شيوع ذلك فى قومه(٢).

شبهة وجوابها:

زعم المستشرق نيكلسون (Nicholson) أن حديث شق الصدر للنبى ﷺ

(١) النبوات لإبن تيمية.
(٢) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري.

أسطورة نشأت عن تفسير الاية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وأنه لو كان لها أصل فعلينا أن نخمن أنها تشير إلى نوع من الصرع، وهذا الذى زعمه نيكسون سبقه إليه المشركون القرشيون حين إتهموا رسول الله ﷺ بالجنون فنفى الله عنه ذلك ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] والمعلوم عن المصروع أنه يهذى ويزبد ويفقد وعيه، أما الرسول ﷺ فقد كان عند الوحى فى أشد حالات التركيز حتى أمره الله تعالى بأن يخفف عن نفسه ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] ثم إنه كان لينطق بكلام مبين عد آية فى البلاغة والإعجاز، فأين هذيان المصروع من ذلك[١].

أما المرة الثانية التى وقع فيها شق صدره عليه السلام فكانت ليلة الإسراء.

قصة بحيرا الراهب:

لقد إصطحب أبو طالب النبى ﷺ فى سفرة تجارية له إلى الشام، وكان النبى فى التاسعة أو العاشرة أو الثانية عشرة من عمره على إختلاف الروايات وقد دعا راهب يدعى بحيرا فى مدينة بصرى رجال القافلة القرشية إلى طعام، حيث تعرف على النبى من خلال صفاته وأحواله، فعرف أنه يتيم وأنه يحمل خاتم النبوة بين كتفيه، ورأى الغمامة تظله من الشمس وفىء الشجرة يميل عليه عندما ينام إليها، وتختم الرواية القصة بتحذير الراهب لأبى طالب عم النبى ﷺ من اليهود والروم.

وقد ضعف الكثير من الحفاظ هذه الروايات لنكارة فى متنها ولكن بمجموع الطرق تتقوى والسند صحيح ويمكن أن تطمئن النفس إلى إثبات سفره مع عمه إلى بصرى وتحذير الراهب بحيرا عمه من اليهود والروم بالإعتماد على رواية صحيحة عند الترمذى والإستئناس بالروايات الضعيفة الأخرى[٢].

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري.

(٢) المصدر السابق.

شبهة وجوابها:

وقد حاول بعض المستشرقين أن يبنى على هذه القصة إتهامات فيها مجازفة علمية حيث زعموا أن النبى عليه الصلاة والسلام تلقى علم التوراة عن بحيرا إذ كيف يعقل ان يتلقى النبى فى سن الثانية عشرة علم التوراة فى ساعة الطعام التى التقى خلالها ببحيرا، وهو أمى لا يحسن القراءة والكتابة؟ فضلاً عن حاجز اللغة إذ لم يكن قد وجد فى ذلك الوقت توراة ولا إنجيل باللغة العربية. وإذا كان المقصود رد أصول الإسلام إلى التوراة، فأين أثر تعاليم التوراة تلك فى حياة الرسول ﷺ وما بين لقائه ببحيرا وبعثته ثمانية وعشرون سنة؟ (١).

بشارات علماء أهل الكتاب بنبوته:

لقد أخبر سلمان الفارسى فى قصة إسلامه الطويلة أن راهب النصارى فى عمورية عندما حضرته الوفاة طلب منه سلمان أن يوصيه، فقال الراهب: «أى بنى والله ما أعلمه بقى بقى أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبى يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فإفعل فإنه قد أظلك زمانه». ثم قص سلمان خبر قدومه إلى المدينة واسترقاقه ولقائه برسول الله حين الهجرة، وإهدائه له طعاماً على أنه صدقه فلم يأكل منه الرسول، ثم إهدائه له طعاماً على أنه هدية وأكله منه، ثم رؤية خاتم النبوة بين كتفيه، وإسلامه على إثر ذلك(٢).

وكذلك فإن يهود المدينة كانوا يعرفون أن زمان بعثة النبى قد اقترب، وكانوا يزعمون أنه منهم، ويتوعدون به العرب، وقد بين الله تعالى أنهم يعرفونه بصفاته التى ذكرت فى كتبهم كما يعرفون أبناءهم، وإنما أنكروا نبوته بعد ظهوره لما تبين

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري.

(٢) المصدر السابق.

لهم أنه من العرب فجحدوا نبوته. قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٨٩] وقد قال رجال من الأنصار: «إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه، لما كنا نسمع من رجال اليهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم».

وقال هرقل ملك الروم عندما استلم رسالة النبي ﷺ: «وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم»[١].

معجزات النبي محمد ﷺ:

١ - المعجزة الخالدة (القرآن الكريم):

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال ﷺ: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**» أخرجه الشيخان

● **معجزاته أظهر ﷺ:**

قال الفخر الرازي «كل نبي معجزاته أظهر فثواب أمته أقل إلا هذه الأمة فإن معجزات نبيها أظهر وثوابها أكثر»[٢].

● **اختصاص النبي محمد ﷺ بمعجزة القرآن الكريم:**

«إنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى الله لي»

قال الحافظ في الفتح «أي إن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري.

(٢) فيض القدير للمناوي.

على وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر المعجزات فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتى من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التى اختص بها دون غيره، لأن كل نبى أعطى معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبى تقع مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشياً عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره، وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمة والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا فى ذلك الزمان فى غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم فى الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذى تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك، وقيل المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة، بخلاف غيره من المعجزات فإنها لا تخلو عن مثل، وقيل المراد أن كل نبى أعطى من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله صورة أو حقيقة، والقرآن لم يؤت أحد من قبله مثله، فلهذا أردفه بقوله: «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً**»، وقيل المراد أن الذى أوتيته لا يتطرق إليه التخييل، وإنما هو كلام معجز لا يقدر أحداً أن يأتى بما يتخيل منه التشبيه به، بخلاف غيره فإنه قد يقع فى معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل شبهه فيحتاج من يميز بينهما إلى نظر، والنظرعرضة للخطأ، فقد يخطىء الناظر فيظن تساويهما، وقيل المراد أن معجزات الأنبياء إنقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة فى أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، وهذا أقوى المحتملات، وقيل المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعها لأجلها أكثر، لأن الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذى

يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً، قلت: ويمكن نظم هذه الأقوال كلها فى كلام واحد، فإن محصلها لا ينافى بعضه بعضاً.

قوله: «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**» رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعم نفعه من حضر و من غاب ومن وجد ومن سيوجد، فحسن ترتيب الرجوى المذكورة على ذلك، وهذه الرجوى قد تحققت وهذا من أعلام نبوته ﷺ حيث أنه قال هذا والمسلمون قلة فصاروا كما تنبأ عليه الصلاة والسلام فإنه أكثر الأنبياء تبعاً.

وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن فى أربعة أشياء: أحدها حسن تأليفه وإلتئام كلمه مع الإيجاز والبلاغة، **ثانيها** صورة سياقة وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثراً حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه، **ثالثها** ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب، **رابعها** الإخبار بما سيأتى من الكوائن التى وقع بعضها فى العصر النبوى وبعضها بعده، ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم فى قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه، كتمنى اليهود الموت، ومنها الروعة التى تحصل لسامعه، ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده وسامعه لا يمجه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة، ومنها أنه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضى عجائبها ولا تنتهى فوائدها[١]. (ملخص من كلام عياض).

ويشهد لهذا الحديث قوله ﷺ في صحيح مسلم: «**ما صدق نبي ما صدقت، إن من الأنبياء من لا يصدقه من أمته إلا رجل واحد**»[٢].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري.
(٢) صحيح مسلم.

وقال في مرقاة المفاتيح في شرح حديث «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات**.....» والمعنى: أن كل نبي قد أعطى من المعجزات ما إذا شوهد واطلع عليه دعا الشاهد إلى تصديقه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة. وقال بعدها في المرقاة. (فجاء القرآن معجزة مشتهرة دائمة إلى انقراض الزمان، بل أبد الآباد لما يتلى في درجات الجنان، بل يسمع من كلام الرحمن).

والمراد بالوحى هنا القرآن الذى هو في نفسه دعوة وفى نظمة معجزة وهو لا ينقرض بموته كما تنقرض معجزات غيره. وقال القاضى وغيره: والمراد بالوحى القرآن البالغ أقصى غاية الإعجاز في النظم وهو أكثر فائدة وأعم منفعة من سائر المعجزات، فإنه يشتمل على الدعوات والحجة ويستمر على مر الدهور والعصور، وينتفع به الحاضرون عند الوحى المشاهدون له والغائبون عنه والموجودون بعده إلى يوم القيامة على السواء ولذلك رتب عليه قوله: «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**». وقد حقق الله رجاءه والله أعلم[١].

إعجاز القرآن الكريم:

قال السيوطى في معترك الأقران: «والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه». وقال الأصبهانى في تفسيره «اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين: أحدهما إعجاز يتعلق بنفسه. وثانيهما بصرف الناس عن معارضته. فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه، أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى، فإن ألفاظه ألفاظهم، قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [فصلت: ٣] ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشعراء: ١٩٥] ولا بمعانيه، فإن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدمة، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ**

---

(١) مرقاة المفاتيح للملا على القاري..

الأوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٩٦]. وما هو في القرآن من المعارف الآلهية وبيان المبدأ والمعاد، والإخبار بالغيب، فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم ولا تعلم، ولكون الإخبار بالغيب إخباراً بالمغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدى بالعربية أو بلغة أخرى، بعبارة أو إشارة، فإذاً فالنظم المخصوص صورة القرآن، واللفظ والمعنى عنصره، وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء وإسمه لابعنصره، كالقرط والخاتم والسوار، فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها، لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة والحديد، فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتماً، وإن كان العنصر مختلفاً، وإن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤهم باختلاف صورها وإن كان العنصر واحداً، قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص.

وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً أنه لما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن، وعجزوا عن الإتيان بمثله، ولم يقصدوا إلى معارضة، فلم يخف على ذوى البلاغة أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك. وأى إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزوا في الظاهر عن معارضته، مصروفة في الباطن عنها[1].

هل غير القرآن معجز؟

قال السيوطى: هل يقال إن غير القرآن من كلام الله معجز، كالتوراة والإنجيل؟ فالجواب ليس شيء من ذلك معجزاً في النظم والتأليف، وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الأخبار بالغيوب. وإنما لم يكن معجزاً لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن، ولأنا قد علمنا أنه لم يقع التحدى عليه كما وقع في

(١) أضواء البيان للشنقيطي.

القرآن، ولأن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى إلى حد الإعجاز(١).

موضع الإعجاز من القرآن:

قال السيوطى :قال أبو حيان التوحيدى: سئل بندار الفارسى عن موضع الإعجاز من القرآن فقال: هذه مسألة فيها حيف على المفتى، وذلك أنه شبيه بقولكم موضع الإنسان من الإنسان، فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته، كذلك القرآن لشرفه لايشار الى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله وأهدى لقائله وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كتابه، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده(٢).

العلوم المستنبطة منه:

قال تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنعام:٣٨] وقال: ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [النحل:٨٩]

أخرج البيهقى عن الحسن، قال: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة في الفرقان.

وقال الشافعى رحمه الله: « جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن ».

---

(١) معترك القرآن للسيوطي.
(٢) المصدر السابق.

وقال الشافعي أيضاً: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في قانون التأويل: علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم، على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة ظهر وبطن، وحد وقطع، وهذا مطلق دون إعتبار تركيب وما بينهما من روابط، وهذا مما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله. وأم علوم القرآن ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام. فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير فيه الوعد والوعيد، والجنة والنار، وتصفية الظاهر والباطن.

والأحكام منها التكاليف كلها، وتبيين المنافع والمضار، والأمر والنهى والندب ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن، لأن فيها الأقسام الثلاثة، وسورة الإخلاص ثلثه، لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة وهو التوحيد.

وقال الراغب: إن الله تعالى كما جعل نبوءة النبيين بنبينا ومولانا محمد ﷺ مختتمة وشرائعهم بشرعته من وجه منتسخه، ومن وجه متممة مكملة جعل كتابه المنزل عليه متضمناً لثمرة كتبه التى أولها: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقوله: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه ـ مع قلة الحجم ـ متضمن للمعنى الجم، بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيونة عن إستيفائه، كما نبه عليه بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، فهو وإن كان لا يخلو الناظر فيه من نور ما يرويه ونفح ما يوليه.

كالبدر من حيث إلتفت رأيته ... يهدى إلى عينيك نوراً ثاقباً

كالشمس في كبد السماء وضوءها   يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، قال: قيل لموسى عليه السلام: ياموسى، إنما مثل كتاب أحمد في الكتب المنزلة بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبدته[١].

حفظ القرآن الكريم كمظهر من مظاهر الإعجاز:

﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤٢] إن سر إعجاز القرآن الكريم، لا يكمن في بلاغته فحسب، وإنما يتجسد في حفظه عبر السنين والأيام، فبعد أن تحدى الله الخلق أن يأتوا بسورة من مثله، أراد الله تعالى أن يؤكد هذا الإعجاز فقضى بحفظه من أيدى العابثين، الذين ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [المائدة: ٤١] فقال جل من قائل: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩]. فكم من الكتب السماوية والدنيوية على السواء – عصفت بها الأحداث، وجرت عليها المقادير، وتنازعتها الشيع والأهواء، وكم من كتاب وقع ضحية الزيف والتحريف، والطمس والتصحيف، إلى غير ذلك من عوامل سياسية وعقديه وإجتماعية. وأمام هذا الخطر الذى أتى على كثير من الكتب، وليظل القرآن معجزة خالدة في صدى السنين، قضى الله تعالى بحفظه، فنعم الحافظ. هذا ولم تتمكن الأيدى الخبيثة المغرضة من تبديل حرف واحد من القرآن الكريم، بما قيضه الله تعالى لهذه الأمة من حفظه لكتابه ودينه ورغم محاولتها الدءوبة المنكرة من تبديل ولو حرف واحد من القرآن الكريم غير أن محاولتها قد منيت بالفشل الذريع، وما استطاعت مضياً، وكل هذا بفضل الله ثم جهابذة العلم الذين نذروا أنفسهم لهذه الأمانة العظيمة، لا يخافون في الله لومة لائم ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [القمر: ١٧]. ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) معترك الأقران للسيوطي.

وقد أشار الإمام محمود شلتوت إلى هذه الظاهرة، فقال: لم يظفر كتاب من الكتب سماوياً كان أو أرضياً في أمة من الأمم قديمها وحديثها بمثل ما ظفر به القرآن على أيدى المسلمين، ومن شارك في علوم المسلمين، ولعل هذا يفسر لنا جانباً من الرعاية الإلهية لهذا الكتاب الكريم، الذى تكفل الله بحفظه وتخليده في قوله ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩] فما كان الحفظ والتخليد بمجرد بقاء ألفاظه وكلماته مكتوبة في المصاحف مقروءة بالألسنة، متعبداً بها في المساجد والمحاريب، إنما الحفظ والخلود بهذه العظمة التى شغلت الناس، وملأت الدنيا، وكانت مناراً لأكبر حركة فكرية اجتماعية عرفها البشر(١).

٢- معجزة الإسراء:

ظاهرة أخرى من ظواهر الإعجاز التى أسبغها الله على رسوله ﷺ وهى أكثر من أن تحصى، حيث أنها – بلا شك – تدل على صدق نبوته ﷺ وعظيم مكانته، وتجدر الإشارة إلى أن الله تعالى لم يضن على رسوله ﷺ بأى نوع من أنواع المعجزات التى أعطاها الأنبياء قبله عليهم السلام، وليس هذا فحسب، وإنما نفله بالقرآن الكريم وكثير غيره كما سوف نرى ومنها معجزة سماوية وهى معجزة الإسراء وما رافقها من معجزات(٢).

● إنشقاق سقف بيته:

فقد أخرج الشيخان عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدرى، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء......**».

---

(١) الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.

(٢) المصدر السابق.

● قطع المسافة التى تقطع في آلاف الأعوام في أقل من ساعة زمن وخضوع البراق له وعدم نفوره منه وخرق السماوات:

أخرج إبن إسحاق عن الحسن، أنه قال: قال ﷺ: «**بينا أنا نائم في الحجر، إذ جاء جبريل فهزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي فجاءني الثانية، فهزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي فجاءني الثالثة، فهزني بقدمه، فجلست، فأخذ بعضدي، فقمت معه فخرج بي إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض، بين البغل والحمار، في فخذه جناحان يخفر بهما رجليه، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته**» ويضيف ﷺ في هذه الرواية قائلاً: «**لما دنوت منه لأركبه شمر، فوضع جبريل يده على معرفته، ثم قال: ألا تستحي يابراق مما تصنع! فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه، قال فاستحيا حتى أرفض عرقاً، ثم قر حتى ركبته**» (*).

ومضى رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السلام حتى انتهى إلى بيت المقدس، فربط البراق بالحلقة التى تربط بها الأنبياء، وجمع الله تعالى لرسوله عليه السلام الأنبياء عليهم السلام في المسجد الأقصى تكريماً له وتشريفاً له، وكان منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فصلى بهم إماماً. ثم يمضي الرسول ﷺ فيدخل السماء الدنيا برفقة جبريل عليه السلام ويلتقي بآدم ثم يعرج إلى السماوات حتى يجتاز السماء السابعة وقد شيعه من كل سماء مقربوها وسلموا عليه ورحبوا به عليه الصلاة والسلام. ثم وصل إلى سدرة المنتهى والبيت المعمور ثم رفع إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، دون أن يقف على ما جرت به المقادير، ويكرمه تعالى بسماع كلامه تعالى.

وكان قد دخل به جبريل الجنة فرأى فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت، مما أعد الله تعالى لعباده الصالحين من جنات ونعيم. ووقف على النار ليرى فيها

(*) زيادة صحيحة (صححها الألباني في المشكاة وصحيح الترمذي).

أصنافاً من المعذبين، أكلة أموال اليتامى ظلماً بغير حق، وأكله الربا والزناة والواقعين في أعرض الناس، والمسيح الدجال وعمرو بن الحى الذى رآه يجر قصبه في النار إلى غير ذلك من الأمور. ثم فرضت عليه الصلاة ثم عاد بالبراق إلى مكة(١).

● **وضع بيت المقدس أمامه ﷺ وهو بمكة:**

ومن المعجزات التى تتعلق بالإسراء والمعرج أن قريشاً سألته عن وصف بيت المقدس وعن عدد أبوابه، فجلى الله له بيت المقدس حتى وضعه أمامه فأخبرهم عما يريدون لم يخطىء في حرف واحد يقول ﷺ: «**لما كذبنى قريش قمت في الحجر فجلى الله لى بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**»(٢).

وفى رواية أخرى للحسن رضي الله عنه في حديثه فلما غدا رسول الله ﷺ على قريش وأخبرهم الخبر، قال أكثر الناس هذا والله الأمر البين، والله إن العير لتطرد، شهراً من مكة إلى الشام مدبرة، وشهراً مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة! قال فإرتد كثير من أسلم، وذهب الناس إلى أبى بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة، قال فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه، فقالوا: بلى، هاهو ذاك في المسجد يحدث به الناس، فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك «فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يانبي الله، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: «**نعم**»، قال: يانبي الله فصفه لى، فإنى قد جئته، فقال ﷺ: «**فرفع لى حتى نظرت إليه**»فجعل يصفه لأبى بكر،

(١) الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.
(٢) رواه البخاري.

ويقول أبو بكر: صدقت أشهد أنك رسول الله حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ: «وأنت يا أبا بكر الصديق» فيومئذ سماه الصديق»(*).

هذا وما تركناه من عجائب في هذه الرحلة الربانية أكثر، عجائب أفحمت سراة قريش، وأتخمت عقولهم بالحيرة حيناً، وبالعجب حيناً آخر، ورسخت الإيمان في نفوس الصحابة وسائر المسلمين، إزاء ما واجههم به رسول الله ﷺ من قرائن وحقائق ومعلومات، لم يسبق له أن وقف عليها أو عاينها.

وكان من شأن هذه الرحلة النورانية أن محصت النفوس، وأزالت الأقنعة عن الوجوه الكالحة، فظهرت على حقيقتها، فبان منها الغث من السمين، وكان في مسراه ﷺ عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق، وكان من أمر الله تعالى على يقين، فأسرى به تعالى كيف شاء، ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يريد(١).

يقظة لا منام:

ولا يخفى بعد هذا كله أن الإسراء كان بروحه وجسده يقظة لا مناماً، إذ لو كان مناماً لما أنكر عليه كفار قريش ما أنكروه ولما كانت معجزة في حقه عليه السلام ولما ظهر فضله على سائر البشر في هذه الرحلة السماوية، إذ أن البشر قد يرون في المنام السماوات والملائكة والأنبياء والجنة والنار وما أشبه هذه الأشياء(٢).

٣- معجزة الهجرة:

لقد خرج النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر من بين ظهراني المشركين المحدقين الملتفين حول بيته دون أن يروه وبات في الغار ليالي ووصل الكفار إلى الغار حتى

(*) معظمها في الأجوبة المستوعبة لابن عبد البر وقال (حديث مشهور مأثور).

(١) الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.

(٢) صحيح ابن حبان.

قال الصديق رضي الله عنه «لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا» فقال ﷺ : «**أسكت يا أبا بكر إثنان الله ثالثهما**»(١).

دعاؤه ﷺ على سراقة:

من دلائل نبوته ﷺ ماأخرجه الشيخان عن أنس بن مالك، قال: أقبل النبي ﷺ إلى المدينة وهو مردوف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف. قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر! من هذا الرجل الذى بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل. فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق، وإنما يعنى سبيل الخير فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يارسول الله، هذا فارس قد لحق بنا. فالتفت النبي ﷺ فقال: «**اللهم اصرعه**» فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم، فقال: يا نبي الله! مرنى بما شئت. فقال: «**قف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا**».

خيمة أم معبد:

وقد أشتهر في كتب السيرة والحديث خبر نزول الرسول ﷺ وأصحابه بخيمة أم معبد بقديد طالبين القرى، فاعتذرت لهم لعدم وجود طعام عندها، إلا شاة هزيلة لا تدر لبناً. فأخذ الشاة فمسح ضرعها بيده، ودعا الله، وحلب في إناء حتى علت الرغوة، وشرب الجميع، ولكن هذه الرواية طرقها ما بين ضعيفة وواهية إلا طريقاً واحدة يرويها الصحابى قيس بن النعمان السكونى ونصها «لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر يستخفيان نزلا بأبى معبد فقال: والله مالنا شاه فقال عليه السلام: أحسبه – فما تلك الشاة؟ فأتى بها. فدعا رسول الله ﷺ بالبركة عليها، ثم حلب عساً فسقاه، ثم شربوا، فقال أنت الذى يزعم قريش أنك صابئ؟ قال: «**إنهم يقولون**». قال: أشهد أن ماجئت به حق. ثم قال: أتبعك قال: «**لا حتى**

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري.

تسمع أنى قد ظهرت» . فاتبعه بعد، وهذا الخبر فيه معجزة حسية للرسول ﷺ شاهدها أبو معبد فأسلم(١).

٤- معجزة إنشقاق القمر:

قال ابن عباس: «قالت قريش للنبى: أدع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا. فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة؟ قال: بل باب التوبة والرحمة».

قال ابن عباس: «فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿**وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا**﴾ [الإسراء:٥٩] فكما أن معجزة صالح لم تنفع في جلب ثمود إلى الإيمان، فإن المشركين من قريش لن تنفعهم قياساً على ما وقع من عبر التاريخ الغابرة. ولكن أمام إلحاح المشركين وعنادهم إستجاب لهم – وقد سألوه آية – فأراهم القمر شقين، حتى رأوا جبل حراء بينهما(٢).

وقد شاهد الصحابى عبد الله بن مسعود حادثة إنشقاق القمر بمكة. وقد خلد القرآن هذه المعجزة فقال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ**﴾ [القمر:١-٢]، وهكذا عللوا رؤيتهم لإنشقاق القمر بالسحر، وكانوا يتهمون به الرسول ﷺ. وتحققت فيهم سنة السابقين مع المعجزات الحسية كما أخبر القرآن(٣).

قال الخطابى (انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة لاكرم العمري.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري.
(٣) السيرة النبوية الصحيحة لاكرم العمري.

الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر.

قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدة من الصحابة ﷺ مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها)[١].

شبهة وجوابها:

قد أنكر بعض المبتدعة المضاهين المخالفى الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره. وأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة فأجاب العلماء بما يلى:

- هذا الإنشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم، فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر، ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطالعة والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد ولا علم عند غيرهم لما ذكرناه.

وكان هذا الإنشقاق آية حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها.

- وقد يكون القمر كان حينئذ في بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن قوم كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم.

- وقد روى هذا الحديث جماعة كثير من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن إنتهى إلينا، ويؤيد ذلك

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري.

الآية الكريمة فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر. وقد يطلع على قوم قبل طلوعه على آخرين، وأيضاً فإن زمن الانشقاق لم يطل ولم تتوفر الدواعى على الاعتناء بالنظر إليه ومع ذلك فقد بعث أهل مكة إلى آفاق مكة يسألون عن ذلك، فجاءت الأسفار وأخبروا بأنهم عاينوا ذلك، وذلك لأن المسافرين بالليل غالباً يكونون سائرين في ضوء القمر.

- وكالة ناسا الفضائية بعد أكثر من أربعة عشر قرناً تثبت انشقاق القمر:

نشرت وكالة ناسا الفضائية إكتشافها بأن القمر قد مر بمرحلة إنشق فيها نصفين عند تحليلهم لسلسلة صخرية تمر بوسط القمر تختلف في طبيعتها عن الصخور المكونة له وقد أفاد العلماء في الوكالة بأن هذه الصخور لا يمكن أن تتشكل إلا عند إلتحام شقى القمر[١].

البركة في الماء والوضوء والطعام والعلم وما جرى مجراه:

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً وقد رواها غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم وهى صحيحة متواترة، أخرجها أئمة الحديث دون إستثناء ونستهل القول في تفجير الماء وانبعاثه ونبعه من بين أصابعه ببركته ﷺ.

والجديد في هذه المعجزة، انها حدثت أكثر من مرة وفى أكثر من موقف، وشهودها كثير جداً، كما تعددت رواياتها، فتارة تفجر الماء من النبع، وأخرى من بين أصابعه، وأحياناً يؤتى بمزادة أو ميضأة لا ماء فيها إلا القليل، فينفجر الماء منها تفجيراً.

ومما لا شك فيه أن معجزة نبع الماء من بين أصابعه عليه السلام أعظم من معجزة موسى عليه السلام، إذ نبع له الماء من الحجر، لأنه معتاد ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾ [البقرة:٧٤]. وأما خروجه من لحم ودم، فلم يعهد. كما قال الشاعر:

---

(١) موقع وكالة ناسا على شبكة الإنترنت www.nasa.gov

إن كان موسى سقى الأسباط من حجر فإن في الكف معنى ليس في الحجر

ولله در البوصيرى عندما قال:

ومنبع الماء عذباً من أصابعه وذى أياد عليها قد جرى النيل[١]

أمثلة لنبع الماء من بين أصابعه:

■ نبع الماء من بين أصابعه في الحديبية:

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله، قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال: «**مابكم؟**» قالوا: ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون. فشربنا وتوضأنا. قلت كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا. كنا خمس عشرة مائة[٢].

■ عين تبوك:

أخرج مسلم عن معاذ بن جبل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك.... فقال ﷺ: «**إنكم ستأتون غداً إن شاء الله، عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتى**».

فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان. والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء. قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مسستما من مائها شيئاً؟**» قالا نعم فسبهما النبي ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول. قال ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء. قال وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها. فجرت العين بماء منهمر، وأو قال غزير – شك أبو على أيهما قال –

---

(١) الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير.

حتى استقى الناس – ثم قال «يوشك، يامعاذ! إن طالت بك حياة، أن ترى هاهنا قد مليء جناناً»(١).

البركة في الطعام:

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك، قال: تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله، قال: فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور. فقالت: يا أنس! اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ. فقل بعثت بهذا إليك أمي. وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل، يارسول الله. قال: فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل، يارسول الله! فقال: «ضعه» ثم قال: «اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً. ومن لقيت وسمى رجالاً. قال: فدعوت من سمى ومن لقيت. قال: قلت لأنس: عدد كم كانوا؟ قالوا: زهاء ثلاثمائة وقال لي رسول الله ﷺ. «يا أنس هات التور. قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة. فقال رسول الله ﷺ: «ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه» قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم. فقال لي «يا أنس إرفع» قال: فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت»(٢).

البركة في العلم وغيره:

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة عن النبي ﷺ، والله الموعد، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءاً مسكيناً ألزم رسول الله ﷺ على ملىء بطني. وقال النبي ﷺ يوماً: «**لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينس من مقالتي**

(١) البداية والنهاية لابن كثير.
(٢) المصدر السابق.

شيئاً أبداً» فبسطت نمرة ليس على ثوب غيرها حتى قضى النبي ﷺ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذى بعثه بالحق ما نسيت من مقالته ذلك إلى يومي هذا».

ونقل إبن أبى داود إجماع أهل الحديث على أنه - أي أبى هريرة - أكثر الصحابة حديثاً(١).

إنقياد الشجر والحيوانات والجمادات وتسليمها عليه وشهادتها له ﷺ بالنبوة:

سجود الشجر:

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح. فذهب رسول الله ﷺ، يقضي حاجة فاتبتعه بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به. فإذا شجرتان بشاطىء الوادى. فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال «انقادى على بإذن الله» فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده. حتى أتى الشجرة الأخرى. فأخذ بغصن من أغصانها. فقال: «انقادى على بإذن الله» فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما، لأم بينهما (يعنى جمعهما) فقال: «إلتئما على بإذن الله» فالتئما، قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربى فيبتعد فجلست أحدث نفسى فحانت منى لفته، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق(٢).

وأخرج البخارى عن ابن عباس: قال: جاء أعرابى إلى النبي ﷺ فقال: بم أعرف أنك رسول الله؟ فقال: «أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.
(٢) المصدر السابق.

أتشهد أني رسول الله؟» قال: نعم. فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقز حتى أتى النبي ﷺ. قال ثم قال له: «إرجع فرجع حتى عاد مكانه». وفى بعض الروايات: فأسلم الأعرابى(١).

تسليم الجمادات والحيوانات عليه وشهادتها له بالنبوة:

تسليم الحجر:

أخرج مسلم عن جابر بن سمرة، قال: قال ﷺ: «**إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث، إنى لأعرفه الآن**»(٢).

تسبيح الحصى:

عن أبى ذر رضي الله عنه قال إني لشاهد عند النبي ﷺ وفى يده حصى فسبحن ثم دفعهن إلى أبى بكر فسبحن في يده ثم دفعهن إلى عمر فسبحن في يده ثم دفعهن إلى عثمان فسبحن في يده ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن في يد أحد منا(*).

تسبيح الطعام:

أخرج البخارى عن عبد الله، قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء، فقال: «**اطلبوا فضلة من ماء**» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: «**حى على الطهور المبارك والبركة من الله**»فقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل(٣).

حديث الذئب:

أخرج الحاكم وأحمد عن أبى سعيد الخدرى: قال «عدا الذئب على شاة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.
(٢) المصدر السابق.
(*) قال ابن حجر العسقلاني رجاله كلهم موثوقون (موافقة الخبر للخبر).
(٣) البداية والنهاية لابن كثير.

فأخذها فطلبه الراعى فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه فقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقاً ساقه الله إلى فقال: ياعجبى ذئب يكلمنى بكلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق قال فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره بأمر رسول الله فنودى الصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعى أخبرهم فأخبرهم فقال ﷺ: «**صدق والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله**» [١][*].

حنين الجذع:

أرسل رسول الله ﷺ إلى إمرأة فقال: «**انظرى غلامك النجار، يعمل لى أعواداً أكلم الناس عليها**». أخرجه الشيخان، فصنع له الغلام ذلك المنبر، فترك رسول الله ﷺ جذعاً كان يقومن عليه في خطبه، وما هو إلا أن أخذ ذلك الجذع بالحنين، شوقاً إلى رسول الله ﷺ كما أجمعت مصادر الحديث.

هذا الخبر مشتهر ومنتشر ومتواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر. وكان الحسن البصرى إذا حدث بهذا الحديث بكى، وقال: ياعباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ، شوقاً إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه[٢].

سقوط أصنام الكعبة بالإشارة منه ﷺ:

عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان**

(١) البداية والنهاية لابن كثير.
(*) قال ابن كثير إسناده على شرط الصحيح.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير.

زهوقا» فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع(١).

وفى رواية عنه أيضاً قال: كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل**». فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا إلى قفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم(٢)(*).

خبر الشاة المسمومة وحديث الذراع:

لم يأل أعداء الإسلام - من العرب واليهود - جهداً في سبيل القضاء على الدعوة الإسلامية بالقضاء على رسول الله ﷺ، فما من طريقة للإغتيال، إلا وضربوا منها بشطن.

ولما باءت محاولاتهم بالفشل، حاولوا أن يدسوا له سماً في الطعام فقد أخرج البخارى وأحمد وأبو داود والنسائى والدارمى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: «**اجمعوا إلى من كان ههنا من اليهود**» فجمعوا له، فقال لهم: «**إنى سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقى عنه؟**» فقالوا: نعم قال لهم النبي ﷺ: «**من أبوكم**» قالوا: فلان، فقال: «**كذبتم بل أبوكم فلان**»، قالوا: صدقت. قال: «**فهل أنتم صادقى عن شيء إن سألت عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم: «**من أهل النار؟**» قالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها. فقال النبي ﷺ: «**اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدا**» ثم قال: «**هل أنتم صادقى عن شيء إن سألتكم عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «**هل جعلتم**

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) المصدر السابق.

(*) أصل القصة في صحيح مسلم.

في هذه الشاة سماً؟» قالوا: نعم، قال: «**ماحملكم على ذلك؟**» قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبياً لم يضرك.

وفى رواية قال عليه الصلاة والسلام: «**إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم**» (١).

إنقلاب الأعيان وإبراء المرضى:

سيف عكاشة:

قال إبن إسحاق: وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدى، حليف بنى شمس إبن عبد مناف، يوم بدر بسيفه، حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ، فأعطاه جذلاً من حطب، فقال: «قاتل بهذا ياعكاشة!!».

فلما أخذه عكاشه من الرسول ﷺ هزه، فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة.

فقاتل به، حتى فتح الله تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى: (العون). ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في الرده رضي الله عنه(٢).

معجزة الكدية:

روى البخارى عن جابر بن عبد الله، أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية، فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها: فوالذى بعثه بالحق نبياً، لانهالت حتى عادت كالكثيب، لا ترد فأساً ولا مسحاه.

---

(١) الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام.

إبراؤه للمرضى:

عينا على إبن أبى طالب رضي الله عنه:

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:

«لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ. كلهم يرجون أن يعطاها. فقال: **«أين علي بن أبى طالب ؟»** فقالوا: هو يارسول الله يشتكى عينيه. قال فأرسلوا إليه. فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع(١).

وعن علي، قال: ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله ﷺ وجهى وتفل في عينى يوم خيبر حين أعطانى الراية(٢).

عين قتاده:

روى إبن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتاده، أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها، فأخذها قتاده بن النعمان، فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عين قتاده إبن النعمان، حتى وقعت على وجنته. قال إبن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتاده، أن رسول الله ﷺ أعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان(٣).

رجل كفيف:

عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافينى قال: إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت ذاك، فهو خير (وفى رواية:

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.
(٢) الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير.

وإن شئت صبرت فهو خير لك)، فقال: ادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، فيصلى ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إنى أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى في حاجتى هذه فتقضى لى، اللهم فشفعه في « وشفعنى فيه » قال ففعل الرجل، فبرىء »(*).

فى الدعاء المستجاب:

دعاء الإستسقاء:

كان رسول الله ﷺ، كثيراً ما يجأر إلى الله بالدعاء، وأكثر ما يكون ذلك في المواقف العصيبة، وكان يحث المسلمين على ذلك إذا ألمت بهم الملمات، عسى أن يكلأهم الله بالعناية والرحمة. وقد أثر عن رسول الله ﷺ أنه كان مستجاب الدعوة فما من مرة دعا ربه تعالى إلا استجاب له، حتى عرف المسلمون الأيام وأصابتهم بالقحط والسنين. ولا يملك رسول الله ﷺ في مثل هذه المواقف، إلا أن يلجأ إلى ربه، رب الحياة والموت، ورب الخصب والقحط، فيتجه إلى القبلة، رافعاً يديه في الدعاء، حتى يرى بياض إبطيه. فمنها:

– ما أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب. فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً. ثم قال: يارسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا. قال فرفع رسول الله ﷺ يديه. ثم قال: «**اللهم أغثنا اللهم أغثنا**» قال أنس ولا والله! ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعه. وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس. فلما توسطت السماء انتشرت. ثم أمطرت قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً. قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب. فاستقبله قائماً

(*) صححه الألباني في التوسل.

فقال: يارسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السبل. فادع الله يمسكها عنا قال: فرفع رسول الله يديه. ثم قال: «**اللهم حولنا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**» قال فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس.

– ما أخرجه الشيخان أن رسول الله ﷺ قد دعا على قريش، لما استعصت عليه، فقال: اللهم أسبع كسبع يوسف» قال فأصابهم قحط وجهد إستأصل كل شيء. حتى جعل الرجل ينظر الى السماء فيرى كهيئة الدخان من الجهد. وحتى أكلوا العظام، فأتى النبي ﷺ رجل فقال: يارسول الله! استغفر الله لمضر. فقال: «**لمضر إنك لجرىء**» قال: فدعا الله لهم فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ**﴾ [الدخان: ١٥] قال فمُطروا، فلما أصابتهم الرفاهية، قال: عادوا إلى ما كانوا عليه...(١).

دعاؤه ﷺ في الحرب والإمداد بالملائكة:

في بدر:

«استقبل القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه «**اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر. فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم إلتزمه من ورائه. وقال: يانبي الله! كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك»(*).

وفي رواية: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم**» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله! فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع فخرج وهو يقول: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ**﴾ [القمر: ٤٥-٤٦](**).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(*) صحيح مسلم.

(**) رواه البخاري.

فى يوم أحد:

أخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص قال: لقد رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال. ما رأيتهما قبل ولا بعد.

فى غزوة الخندق:

أخرج الشيخان عن عبد الله بن أبى أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال «اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب. إهزمهم وزلزلهم».

فى غزوة حنين:

قال العباس رضي الله عنه قال أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ثم قال: «**انهزموا ورب محمد**» قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال فوالله! ما هو إلا أن رماهم بحصياته. فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبرا»(*).

دعاؤه لأهل بيته:

أخرج الشيخان عن أبى هريرة: قال: قال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**»(١).

فاستجاب الله تعالى لدعائه، ولو شاء لأعطاه ما لا يخطر ببال، ولسالت معه الجبال ذهباً وفضاً، وأعطى مفاتيح خزائن الأرض كما جاء في الروايات وكانت عائشة تقول: إن كنا آل محمد ﷺ لنمكث شهراً ما نستوقد بنار. إن هو إلا التمر والماء(٢).

رواه البخاري.
(*) البداية والنهاية لابن كثير.
(١) المصدر السابق.
(٢)

دعاؤه للحسن المحبوب رضي الله عنه:

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال: قال ﷺ، مشيراً إلى الحسن: «**اللهم! إنى أحبه، فأحبه وأحب من يحبه**» قال أبو هريرة: فما كان أحد أحب إلى من الحسن بن على بعد ما قال ﷺ(*).

دعاؤه للحبر البحر إبن عباس رضي الله عنه:

دعا النبي ﷺ لابن عباس فقال: «**اللهم علمه الكتاب**» فوصف من بين الصحابة رضي الله عنهم بأنه الحبر البحر – ترجمان القرآن وحبر الأمة(*).

دعاؤه ﷺ للصحابة:

● **المهدية أم أبى هريرة رضي الله عنها:**

أخرج مسلم وأحمد والحاكم عن أبى هريرة، قال: كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتنى في رسول الله ﷺ ما أكره. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى قلت: يارسول الله! إنى كنت أدعو أمى للإسلام فتأبى على فدعوتها يوماً فأسمعتنى فيك ما أكره. فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة. فقال ﷺ: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**» فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف فسمعت أمى خشف قدمى. فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكى من الفرح. قال قلت: يارسول الله! أبشر قد إستجاب الله دعوتك وهدى أم أبى هريرة. فحمد الله وأثنى عليه خيراً. قال قلت: يارسول الله! ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال فقال ﷺ «**اللهم حبب عُبيدك هذا – يعنى أبا هريرة – وأمه إلى عباده المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين**» فما خلق مؤمن يسمع بى ولا يرانى إلا أحبنى(*).

(*) صحيح البخاري.

● **ذو العقب والمال الكثير أنس:**

أخرج الشيخان عن أنس عن أم سليم أنها قالت: يارسول الله! خادمك أنس. ادع الله له. فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**» فبارك الله تعالى فيما أعطاه واستجاب لرسول الله ﷺ. قال أنس في رواية أخرى: فوالله إن مالى لكثير، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة، اليوم(١).

إخباره ﷺ بالغيبيات (ما مضى منها وما يستقبل):

إخباره بالغيبيات (فيما مضى):

● **مال العباس:**

لما بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس: يا رسول الله قد كنت مسلماً، فقال ﷺ: «**الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك فقد كان علينا، فافتد نفسك، وإبنى أخويك نوفل بن الحارث وعقيل إبن أبى طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو وأخى بن الحارث بن فهر**» قال: ما ذاك عندى يارسول الله. قال «**فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبت في سفرى هذا. فهذا المال الذى دفنته لبني الفضل وعبد الله وقثم**». قال: والله يا رسول الله إنى لأعلم أنك رسول الله إن هذا الشيء ما علمه أحد غيرى وغير أم الفضل فأحسب لى يا رسول الله ما أصبتم منى عشرين أوقية من مال كان معى فقال ﷺ: «**ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك**» ففدى نفسه وإبنى أخويه وحليفة فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٧٠] قال العباس: فأعطانى الله مكان العشرين أوقية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل(٢).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير. (٢) السيرة النبوية للصلابي.

● كتاب حاطب بن أبى بلتعة:

أخرج الشيخان وأحمد والبيهقى وأبو داود عن على، قال بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «**ائتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب. فخذوه منها**» فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة. فقلنا: أخرجى الكتاب. فقالت: ما معى كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ..(١).

مصارع أهل بدر:

أخرج مسلم عن عمر، قال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس. يقول: «**هذا مصرع فلان غداً، إن شاء الله**» فقال عمر: فوالذى بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ. قال: فجعلوا في بئر بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: «**يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى الله حقاً**» قال عمر: يا رسول الله! كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئاً**»(٢).

إخباره ﷺ بما يستقبل من الزمان وأشراط الساعة:

أخرج الشيخان والحاكم وأحمد عن حذيفة. قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً. ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. قد علمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره. كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه. ثم إذا رآه عرفه.

وأخرج البخارى عن عمر قال: قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه(٣).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

علم الساعة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

تفيد هذه الآية الكريمة أن علم الساعة من أمور الغيب ولهذا كان ﷺ يكل علمها إلى الله تعالى فيقول: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول، قبل أن يموت بشهر: «تسألونى عن الساعة وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتى عليها مائة سنة».

إلا أن النبي ﷺ عين يوم وقوعها وهو يوم الجمعة ووصف جانباً من كيفية وقوعها فقال في حديث أبى هريرة عند مسلم «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب، فما يتبايعانه حتى تقوم، وتقوم الساعة والرجل يلط في حوضه، فما يصدر حتى تقوم»

كما صور الرسول ﷺ جانباً من هولها فقال: «فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» (رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى).

وتحدث النبي ﷺ عن بعض أشراطها كما في حديث جبريل لما سأله أخبرنى عن أماراتها. قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»[١].

الأشراط الكبرى للقيامة:

١- الخسف والمسخ والقذف والزلازل وكثرة الصواعق:

أخرج أبو داود عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال: «كنا قعوداً نتحدث في

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

ظل غرفة لرسول الله ﷺ، فذكرنا الساعة فارتفعت أصواتنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لن تكون، أو لن تقوم الساعة حتى تكون قبلها عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال وعيسى ابن مريم والدخان وثلاث خسوف: خسف بالمغرب وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك تخرج نار من اليمن من قعر عدن، تسوق الناس إلى محشرهم**». (وقال ابن القيم: حديث حذيفة إسناده صحيح)[1].

٢- المهدى:

قال في عون المعبود «واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدى، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدى في صلاته».

وخرج أحاديث المهدى جماعة من الأئمة منهم أبو داود والترمذى وإبن ماجه والبزار والحاكم والطبرانى وأبو يعلى الموصلى، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل على وإبن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبى هريرة وأنس وأبى سعيد الخدرى وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلى الهلالى وعبد الله بن الحارث رضي الله عنهم.

وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف وقد بالغ الإمام المؤرخ ابن خلدون في تاريخه في تضعيف أحاديث المهدى كلها فلم يصيب بل أخطأ[2].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود.

(٢) المصدر السابق.



منها ما أخرجه أبو داود عن على عن النبي ﷺ : «**لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتى يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً**»(١).

٣- ظهور الدجال ونزول المسيح عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج:

ذكر الرسول ﷺ فتناً كقطع الليل المظلم، وكان عليه السلام يحذر منها كثيراً، إستشعاراً منه بخطورتها، وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ منها ويوصى أصحابه أن يتعوذوا منها.

والفتن على أنواعها تذهب بعقول الناس، فما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الفتن كما قال خبير الفتن حذيفه رضي الله عنه.

وقد أحاطنا الرسول ﷺ علماً بأعظم فتنة ألا وهى فتنة الأعور الدجال، أعاذنا الله من شره(٢).

وأحاديث الدجال كثيرة جداً نذكر منها مثالاً واحداً فإنه يضيق هذا البحث عن تعدادها، ويكفى أن الرسول ﷺ أمر بالتعوذ منه في كل صلاة عقب التشهد، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن إبن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: «**قولوا: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»(*).

٤- نزول المسيح عيسى عليه السلام:

روى البخارى عن أبى هريرة يبلغ به النبي ﷺ « يوشك أن ينزل فيكم إبن مريم حكماً مقسطاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ».

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (وقال فيه اسناده صحيح قوي).
(٢) الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.
(*) صحيح مسلم.

وفى رواية أخرى لأبى هريرة قال النبي ﷺ : «**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بينه وبينى نبى، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون**»(*).

فقد تواترت الأحاديث الصحيحة على هلكة مسيح الضلالة الدجال وأتباعه من اليهود على يد المسيح إبن مريم ومن معه من المسلمين. قال الآجرى بعد أن ساق أحاديث عدة في نزول عيسى وقتاله الدجال: «والذين يقاتلون عيسى هم اليهود مع الدجال، فيقتل عيسى الدجال، ويقتل المسلمون اليهود ثم يموت عيسى عليه السلام ويصلى عليه المسلمون، ويدفن مع النبي ﷺ، ومع أبى بكر وعمر رضي الله عنهما»(١).

٥- خروج يأجوج ومأجوج:

قال تعالى مبيناً أن خروج يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الانبياء: ٩٦، ٩٧]

وقال عليه الصلاة والسلام كما روت زينب رضي الله عنها قالت: إستيقظ النبي ﷺ من نوم وهو محمر وجهه وهو يقول: «**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق. قلت: يارسول الله، أنهلك

(*) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.
(١) أشراط الساعة للغامدي.

وفينا الصالحون؟ قال ﷺ: «نعم، إذا كثر الخبث»[١].

٦- خروج الدابة:

من العلامات التى تسبق قيام الساعة وهى في كتاب الله قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

وروى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**تبادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم، وأمر العامة**»[٢].

٧- طلوع الشمس من مغربها:

أخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**».

وهذه الآية منذرة بخلل في العالم العلوى وحركة الأفلاك والنجوم والكواكب وخروج الدابة والزلازل والخسف والدخان منذرة بخراب العالم السفلى وكلها إرهاصات ومقدمات وأشراط قرب الساعة[٣].

٨- الرياح:

أخرج مسلم عن أبى هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث ريحاً من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة أو ذرة من إيمان إلا قبضته**».

وهذه الريح تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى في الأرض إلا الشرار عليهم تقوم الساعة[٤].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري.
(٢) صحيح مسلم.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير.

٩- خروج النار:

روى البخارى عن أنس بن مالك قال: قال ﷺ: «**أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**».

وأخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيئ أعناق الإبل ببصرى**».

وقد ذكر إبن كثير هذه النار في البداية والنهاية، مشيراً إلى أنها خرجت من أرض الحجاز سنة أربع وخمسين وستمائه، وأضاءت لها أعناق الإبل ببصرى مصداقاً لقول رسول الله ﷺ.

وجدير بالذكر أن هذه النار التى تحدث عنها ابن كثير وغيره من أهل العلم، هى غير النار التى تخرج في آخر الزمان وتحشر الناس إلى المغرب(١).

الأشراط الصغرى للقيامة:

من أشراط الساعة الصغرى التى**وقعت** وتنبأ بها النبي ﷺ:

- إتباع سنن الأمم السابقة (وقد وقع في حياته عليه السلام وهو الآن أشد ظهوراً ووقعاً).
- إقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين دعواهما واحدة (وقد وقع هذا بين على ومعاوية في موقعة صفين) وتنبأ النبي ﷺ بأن الحسن ابنه سيصلح الله به بين الطائفتين وقد حدث لما تنازل الحسن لمعاوية بعد مقتل على ابن أبى طالب فاجتمعت كلمة المسلمين.
- تباهى الناس في المساجد (وقد وقع التفاخر والتباهى في بناء المساجد وتشييدها).
- أن تكون التحية للمعرفة (وقد حدث ما تنبأ به عليه السلام حيث أن السلام صار من الرجل للرجل الذى يعرفه فقط دون الذى لا يعرفه).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

- تداعي الأمم على أمة الإسلام (هذا قد ظهر منذ أزمان وهو في زماننا هذا أكثر ظهوراً وبروزاً) وقد عبر النبي ﷺ بتعبير دقيق فقال «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها**»(١).
- التطاول في البنيان (وقد وقع كما أخبر ﷺ بقوله أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) وقال ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان**»(٢).
- تقارب الأسواق وفشو التجارة (وقد وقع كما أخبر ﷺ بقوله في البخارى ومسلم «**لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق ويتقارب الزمان ويكثر الهرج**» **قيل**: « وما الهرج؟ » **قال**: «القتل». فالآن فشو التجارة وتقارب الأسواق وانتشارها على مستوى الأرض حتى صار لها من القوة ما ليس للجيوش، وأصبحت حروب اليوم تجارية إقتصادية، تقيم دولاً وتهدم دولاً وشعوباً، وصارت عقوبات الدول المتنفذة في هذا العالم عقوبات تجارية وإقتصادية، وحصاراً تجارياً إقتصادياً لاعتماد الدول والشعوب على التجارة والإقتصاد(٣).
- تقارب الزمان (وهي من علامات الساعة ودليل على صدق محمد بن عبد الله ﷺ). وقد تحقق هذا فقد نزعت البركة من الزمان ومن كل شيء ونجد سرعة الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذى قبل عصرنا هذا(٤).
- تكلم الرويبضة وعلو السفلة (وهذا مما وقع وظهر وهو في زماننا أكثر بروزاً وظهوراً حيث أن الرجل التافه والسافل يتحكم ويتملك وهذا من انقلاب الموازين واختلال المقاييس حيث يصدق الكاذب ويكذب الصادق ويخون

---

(١) أشراط الساعة للغامدي.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

الأمين ويؤتمن الخائن ويسعد بالدنيا الجهلة والحمقى. وكل هذا في نبوءاته ﷺ(١).

- ظهور الزنا وشرب الخمور (فقد أخبر به ﷺ حيث قال: «**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويُشرب الخمر ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قَيِّم واحد**». وكل هذا قد وقع مطابقاً لقوله ﷺ.

- رفع العلم وظهور الفتن فعن أبى هريرة قال: قال ﷺ «**يقبض العلم وتظهر الفتن ويكثر الهرج، قيل يارسول الله وما الهرج؟ قال: القتل**»(٢).

- ظهور القلم وشهادة الزور، لقد تنبأ ﷺ بذلك في حديث رواه البخارى في الأدب المفرد: «**إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق وظهور القلم**»(*) وظهور القلم معناه كما قال التويجرى في إتحاف الجماعة: أنه ظهور وسائل العلم وهى كتبه فقد ظهرت في هذه الأزمان ظهوراً باهراً ومع هذا فقد ظهر الجهل في الناس وقل فيهم العلم النافع وهو علم الكتاب والسنة والعمل بهما ولم تغن عنهم كثرة الكتب شيئاً. فقد كثرت الطباعة وسهلت وتوسعت وتقدمت تقدماً كبيراً لم يعهد من ذى قبل(٣).

- كثرة النساء وقلة الرجال (وهذا ما ظهر من العلامات وسوف يزداد حتى يكون لخمسين إمرأة قيم واحد، ربما بسبب فناء الرجال في الحروب وغير ذلك أو لكثرة نسل النساء)(٤).

- ظهور الكاسيات العاريات (وقد وقع وظهر وهو دليل من دلائل النبوة) ففى

---

(١) أشراط الساعة للغامدي.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
(٣) أشراط الساعة للغامدي.
(*) قال أحمد شاكر إسناده صحيح (مسند أحمد).
(٤) المصدر السابق.

صحيح مسلم قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لا أراهما بعد، نساء كاسيات عاريات ما ئلات مميلات على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها، ورجال معهم أسواط كأذناب البقر، يضربون بها الناس».

- ظهور الكذابين والدجالين (وقد ظهر أولهم في عهده ﷺ ولاتزال في البروز والظهور إلى يوم القيامة) فقد قال ﷺ في حديث أخرجه مسلم «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول».
- وقد ظهر أولهم في عصر النبوة أمثال مسيلمة والأسود العنسي ثم بعد عصر النبوة ظهر المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى تنبأ بظهوره في ثقيف الرسول ﷺ حيث قال: «إنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير»[١].
- غربة أهل الإيمان في آخر الزمان (حيث أن النبي ﷺ قال «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء») قيل: ومن الغرباء قال: «النزاع من القبائل»[*]. أخرجه الترمذى.
- قتال الترك (حيث وقع كما تنبأ به ﷺ لما قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر»). وقد حدث هذا بقتال التتار الذى إستطار شرهم حيث بلغ كل بلد[٢].

إخباره ﷺ بالفتن والملاحم:

– الفتن والملاحم في عصر الصحابة (وقعت كما أخبر ﷺ لما قال: «إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر») رواه البخارى

وقال ﷺ في البخارى: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن».

(١) أشراط الساعة للغامدي.
(٢) المصدر السابق.
(*) قال أحمد شاكر إسناده صحيح.

- قتال الملاحم بين المسلمين والصليبين آية وعلامة بين يدى الساعة، وهذه العلامة ربما لم تظهر بوضوح ولكن ظهرت بوادرها حيث أن الملاحم الكبرى بين المسلمين والصليبين في بلاد الشام بدأت منذ القرن الخامس الهجرى وبعدها قهر الناصر صلاح الدين جيوش الصليبين ولا تزال جحافل الصليبين تغزو بلاد المسلمين وآخرها غزو العراق على يد الأمريكان حاملة لواء الصليبية في هذا الزمان.

تنبأ النبي ﷺ بذلك لما قال: «**ستصالحون الروم صلحًا آمنًا، ثم تغزون وهم عدواً فينتصرون وتسلمون وتغنمون، ثم تنصرون الروم حتى تنزلوا بمرج ذى تلول فيرفع رجل من النصرانية صليباً فيقول: غلب الصليب: فيغضب رجل من المسلمين، فيقوم إليه فيدقه، فعند ذلك يغدر الروم ويجمعون للملحمة**» (١).

إخباره عليه السلام بالفتوحات (٢):

العجب أن الرسول ﷺ كان يبشر المسلمين الضعفاء في أحرج المواقف، بفتح جزيرة العرب، وبلاد فارس والروم ولم تمض فترة وجيزة حتى فتح رسول الله ﷺ مكة المكرمة، ومن هناك انطلقت جموع المجاهدين إلى مشارق الأرض ومغاربها، تنشر الأمن والسلام في ربوعها. وعندما نتتبع سنة رسول الله ﷺ نلاحظ أنه لم يترك شيئاً من الفتوحات إلا وأشار إليه.

فتح مصر:

أخرج مسلم عن أبى ذر قال: قال ﷺ: «**إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً**».

فتح اليمن والشام والعراق:

أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قد مات كسرى فلا**

---

(١) أشراط الساعة للغامدي.

(٢) الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.

كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله».

فتح بيت المقدس:

عن عوف بن مالك الأشجعى قال: أتيت النبي ﷺ وهو في خدر له فقلت: أدخل؟ فقال: «**أدخل**» قلت أكلي؟ قال: «**كلك**»، فلما جلست قال: «**أمسك ستاً تكون قبل الساعة، أولهن وفاة نبيكم**» قال: فبكيت ثم قال: «**ثم فتح بيت المقدس، وفتنة تدخل بيت كل شعر ومدر، وأن يفيض المال فيكم حتى يعطى الرجل مائة دينار فيتسخطها، وموتان يكون في الناس كقعاص الغنم، قال: وهدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون بكم فيسيرون إليكم في ثمانين غاية - تحت كل غاية إثنا عشر ألفاً**». أخرجه البخارى

فتح جزيرة العرب وفارس والروم والدجال:

أخرج مسلم عن نافع بن عتبة أن رسول الله ﷺ قال «**تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله**».

فتح مكة:

أخرج مسلم عن سهل بن حنيف، قال: لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذى كان بين رسول الله ﷺ والمشركين فجاء عمر بن الخطاب، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى قال: ففيم نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم. فقال ﷺ «يا ابن الخطاب إنى رسول الله ولن يضيعنى الله أبداً قال فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى قال: ففيم نعطى

الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم. فقال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً. قال فنزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ بالفتح. فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه. فقال: يارسول الله! أوفتح هو! قال: «نعم» فطابت نفسه ورجع.

فتح خيبر:

أخرج الشيخان عن أنس أن رسول الله ﷺ لما دخل القرية قال: «**الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين**» قالها ثلاث مرات.

فتح القسطنطينية وروما:

أخرج مسلم والحاكم عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟**» قالوا: نعم، يارسول الله! قال: «**لاتقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألف من بنى إسحاق فإذا جاؤها نزلوا. فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم. قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها**».

وعن عبد الله بن عمرو، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذا سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام. أى المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فقال ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولاً يعنى القسطنطينية**»(١)(*).

فتح الهند:

أخرج النسائى عن ثوبان مولى النبي ﷺ قال: «**عصابتان من أمتى أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مظريم** عليه السلام» (٢)(**).

---

(١) الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.

(*) السلسلة الصحيحة للألباني.

(٢) أشراط الساعة للغامدي.

(**) صححه الألباني (صحيح النسائي).

نبوءات عامة:

● **عزة الإسلام ومنعته وظهوره:**

أخرج الحاكم عن تميم الدارى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الكفر**» وكان تميم الدارى يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتى، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية(*).

وأخرج الشيخان عن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس**».

● **شد الرحال إلى علماء المدينة وفيه إشارة الى الإمام مالك ابن أنس** رضي الله عنه:

فى مسند أحمد: عن أبى هريرة قال عليه السلام: «**يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم لا يجدون عالماً أعلم من عالم أهل المدينة**» وقال قوم هو العمرى قال فقدموا مالكاً(**).

● **الرحيل عن المدينة:**

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليدعن أهل المدينة المدينة وهى خير ما يكون، مرطبة، مونعة، فقيل من يأكلها؟ قال: الطير والسباع**».

(*) صححه الألباني بهامش المشكاة وانظر أشراط الساعة للغامدي.

(**) قال أحمد شاكر إسناده صحيح.

وقال ابن كثير « خراب المدينة وهجر الناس لها قد يتعدد ويتكرر، إلا الخراب الكلى الذى لا تعمر بعده أبداً فإنه قبل قيام الساعة »[١].

● **خراب مكة:**

أخرج الشيخان والحاكم والنسائى وأحمد عن أبى هريرة، قال: قال ﷺ: « **يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة** »[٢].

● **إقتراب أجله وأسرع أهله لحوقاً به:**

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال « رأيت النبي ﷺ يرمى على راحلته يوم النحر، ويقول: « **لتأخذوا عنى مناسككم، فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه** ».

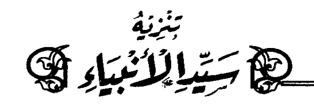
وأخرج الشيخان عن عائشة أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارها فبكت ثم سارها فضحكت. فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذى سارك به رسول الله ﷺ فبكيت ثم سارك به فضحكت قالت: سارنى فأخبرنى بموته فبكيت ثم سارنى فأخبرنى أنى أول من يتبعه من أهله فضحكت[٣].

● **الخلافة والملك العضوض:**

أخرج أحمد عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ « تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج نبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة »[٤].

---

(١) أشراط الساعة للغامدي.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير.
(٣) المصدر السابق.
(٤) السلسلة الصحيحة للألباني.



● **إرتجاف أحد وحراء:**

أخرج البخارى عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف الجبل فقال: «**أُثبت أُحد فإنما عليك نبىٌ وصديقٌ وشهيدان**».

وكل هذا قد وقع فإن عمر وعثمان قتلوا شهداء رضي الله عنهم.

وكذلك أخبر النبي ﷺ بمصير كثير من صحابته رضي الله عنهم منهم قيس بن خرشة وعروة بن مسعود وابن عباس وزيد بن أرقم وأبو ذر وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنهم (١).

وهكذا أيها القارىء الكريم لقد أخبر النبي ﷺ بغيبيات في ما مضى وفى عهده وفيما يستقبل منها ما وقع ومنها ما سوف يقع فإن الله لابد مظهر دينه ومصدق وعد رسوله ﷺ.

هذا وما تركناه من نبوءات النبي ﷺ أكثر وأكثر حتى لا يطول البحث – وما ذكرناه – ذكرناه على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

بشارة الإنجيل بنبي يخبر بالغيب:

وبعد هذه النبوءات والإخبار بالغيبيات والتى لا تحصى كثرة نقول لهؤلاء الحاقدين: إنه ما من نبي أخبر قومه بغيبيات كما أخبر النبي الخاتم ﷺ وقد شهد بذلك الإنجيل كما يلى:

ففى الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا «إن المسيح قال للحواريين إنى ذاهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق، ولايتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له، وهو يشهد لى وأنتم تشهدون لى لأنكم معى من قبل الناس وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به».

وفى إنجيل يوحنا أيضاً: «الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به، ويكلمكم ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب».

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

وفى موضع آخر «إن الفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى بإسمى، هو يعلمكم كل شيء».

وفى موضع آخر «إنى سائل له أن يبعث إليكم فرقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد، وهو يعلمكم كل شيء».

وفى موضع آخر «ابن البشر ذاهب والفرقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شيء، وهو يشهد لى كما شهدت له، فإنى أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل».

قال أبو محمد بن قتيبة وهذه الأشياء على إختلافها متقاربة، وإنما اختلفت لأن من نقلها عن المسيح ﷺ في الإنجيل من الحواريين عدة «والفرقليط» بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد، إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك.

وفى موضع آخر «إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد ويتكلم بروح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه ولست أدعكم أيتاماً إنى سآتيكم عن قريب».

وفى موضع آخر «ومن يحبنى يحفظ كلمتى وأبى يحبه وإليه يأتى وعنده يتحد المنزل، كلمتكم بهذا لأنى لست عندكم مقيماً، والفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم أستودعكم سلامى، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فإنى منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبونى كنتم تفرحون، فإن ثبت كلامى فيكم كان لكم كل ما تريدون».

وفى موضع آخر «إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع، يخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للأب».

وقد أختلف في «الفارقليط» في لغتهم فذكروا فيه أقوالاً ترجع إلى ثلاثة:

أحدها: أنه الحامد والحماد كما تقدم، ورجحت طائفة هذا القول، وقال الذى يقوم عليه البرهان في لغتهم أنه الحمد والدليل عليه قول يوشع « من عمل حسنة يكون له فارقليط جيد » أى حمد جيد .

القول الثانى: وعليه أكثر النصارى أنه المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص، قالوا وهذه كلمة سيريانية ومعناها المخلص، قالوا وهو بالسريانية فاروق فجعل (فارق)، قالوا و(ليط) كلمة تزاد، ومعناها كمعنى قول العرب : رجل هو، وحجرهو وفرس هو، قالو فكذلك معنى (ليط) في السريانية .

وقالت طائفة أخرى من النصارى: معناه بالسريانية « المعزى » .

(المعزى – بضم الميم وفتح العين وكسر الزاى مشددة – معناها : النائب عن المسيح أو الوكيل وهكذا . وهى ترجمة كلمة « فارقليط » « أو بارقليط » وأصل الكلمة « فيرقليط » أو « بيرقليط » ومعناها : أحمد ﷺ والكلمة العبرانية التى نطقها المسيح هى « بيرقليط » وتترجم في اللغة اليونانية « بيرقليطوس » ولكن النصارى – للأسف – حرفوا نطقها إلى « بارقليط » التى تترجم في اليونانية « بارقليطوس » ثم حذفوها من التراجم الحديثة ووضعوا بدلها « المعزى » ولو علمت أن المعزى موصوف بصفة « روح الحق » أو « روح القدس » لتأكدت أن المعزى إسم لا صفة . ولو علمت أن بارقليطوس تكتب في اليونانى بحرف السين لتأكدت أن المعزى إسم لا صفة . لأن حرف السين في اليونانى لا يضاف إلا إلى الأسماء، ولو علمت أن حروف المد من ألف أو باء أو واو لا وجود لها في اللغة العبرانية قبل القرن الخامس الميلادى لعلمت أن شكل كلمة بيرقليط هو نفسه شكل بارقليط) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية والإنجيل إنما نزل باللغة العبرانية وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرها، وأكثر النصارى على أنه المخلص.

ولما لم يتمكن النصارى من إنكار هذه النصوص حرفوا أنواعاً من التحريف فمنهم من قال: هو روح نزلت على الحواريين، ومنهم من قال: هو ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها الآيات والعجائب، ومنهم من يزعم أنه المسيح نفسه لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوماً وكونه قام من قبره، ومنهم من قال لا يعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناه.

ومن تأمل ألفاظ الإنجيل وسياقها علم أن تفسيره بالروح باطل، وأبطل منه تفسيره بالألسن النارية، وأبطل منها تفسيره بالمسيح، فإن روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين «اللهم أيده بروح القدس» وإذا كان كذلك ولم يسم أحد هذه الروح فارقليطاً علم أن الفارقليط أمر غير هذا.

و«أيضاً» فمثل هذه الروح لا زالت يؤيد بها الأنبياء والصالحون وما بشر به المسيح ووعد به أمر عظيم يأتي بعده أعظم منه.

و«أيضاً» فإنه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذه الروح وإنما تناسب رجلاً يأتي بعده نظيراً له، فإنه قال «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد».

فقوله «فارقليطاً آخر» دل على أنه ثان لأول كان قبله، وأنه لم يكن معهم

في حياة المسيح وإنما يكون بعد ذهابه وتوليه عنهم.

وأصدق من هذا وذاك قول الله تعالى في محكم تنزيله في سياق ذكر المسيح إبن مريم عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف : ٦][١].

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم.

المطعن الرابع
أن محمداً ﷺ كان مذنباً، كل مذنب لا يصح أن يكون شافعاً للمذنبين

والدليل من كتابكم القرآن حيث فيه ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] وفي سورة أخرى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩] وفي سورة الفتح ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

وفي الحديث: «**فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**» ونحوه مما وقع في أحاديث أخرى[١].

---

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.

الرد
من مصادر أهل الكتاب فى خمسة أمور (١)

١– فى كتب العهدين شواهد على أن الله رب وخالق، والخلق كله مربوب ومخلوق، فكل ما صدر عن حضرة الرب الخالق فى حق العبد المربوب المخلوق من الخطاب والعتاب والإستعلاء – فهو فى محله ومقتضى المالكية والخالقية، وكذا كل ما يصدر عن العباد من الأدعية والتضرعات إليه فهو فى موقعه أيضاً ومقتضى المخلوقية والعبودية، والأنبياء عباد الله المخلصون، فهم أحق من غيرهم. والحمل على المعنى الحقيقى فى كل موضع من أمثال هذه المواضع فى كلام الله وفى أدعية الأنبياء وتضرعاتهم خطأ وضلال، وإليك هذه الشواهد:

■ فى الباب العاشر من إنجيل مرقس والثامن عشر من إنجيل لوقا: «١٧– وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وقبله وسأله: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية (١٨) فقال له يسوع: لماذا تدعونى صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» إنتهى بعبارة مرقس.

■ فى الزبور الثانى والعشرين هكذا: «١– إلهى إلهى لماذا تركتنى تباعدت عن خلاصى بكلام جهلى إلهى بالنهار أدعوك فلم تستجيب لى وبالليل فلم تحفل بى».

ولما كانت آيات هذا الزبور راجعة إلى عيسى عليه السلام على زعم أهل التثليث فكان القائل بها عندهم هو عيسى عليه السلام.

■ الآية السادسة والأربعون من الباب السابع والعشرين من إنجيل متى

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي ودار الكتاب المقدس.

هكذا: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً «إيلي إيلي لما شبقتني أى إلهى لماذا تركتني».

■ في الباب السادس من إنجيل متى في الصلاة التى علمها عيسى عليه السلام تلاميذه هكذا: «إغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير».

ولقد كان عيسى عليه السلام كثير الصلاة، وبالتالى كان يدعو باغفر لنا ذنوبنا مرات كثيرة بلغت الآلاف، والعصمة من الذنوب وإن لم تكن من شروط النبوة عند أهل التثليث لكنهم يدعونها في حق عيسى عليه السلام باعتبار الناسوت أيضاً، وكان عيسى عليه السلام بهذا الاعتبار أيضاً عندهم صالحاً ومقبولاً لا متروكاً، فهذه الجمل:

- لماذا تدعوني صالحاً....
- إلهى إلهى لماذا تركتني.
- تباعد عني خلاصي بكلام جهلي.
- بالنهار أدعوك فلم تستجب لي.
- اغفر لنا ذنوبنا.

فالجمل السابقة لا تكون محمولة على المعاني الحقيقية الظاهرية عند أهل التثليث، وإلا يلزم أنه لم يكن صالحاً، وكان متروكاً له بعيداً عن الخلاص بسبب كلام الجهل، غير مستجاب الدعوة، خاطئاً مذنباً، فلا بد أن يقال: إن هذه التضرعات بمقتضى المخلوقية والمربوبية باعتبار الناسوت.

دليل من الزبور على أن إعتراف الأنبياء بالذنب لا يحمل على الحقيقة:

وفي الزبور الثالث والخمسين هكذا: «٣- الرب من السماء أطلع على بني البشر لينظر هل من يفهم أو يطلب الله كلهم قد زاغوا جميعاً والتطخوا وليس من يعمل صلاحاً حتى ولا واحد».

هذا ولا شك أن كثيراً من الصلحاء كانوا موجودين فى زمان داود عليه السلام مثل ناثان النبى وغيره، ولو فرضنا أنهم لم يكونوا معصومين على زعم أهل التثليث فلا ريب فى أنهم لم يكونوا مصداق هذه الآية السابقة. ولا يمكن أن تحمل هذه العبارات على المعانى الظاهرية.

دليل من سفر أشعياء:

● فى الباب التاسع والخمسين من كتاب أشعياء هكذا: « ٩- فذلك تباعد الحكم عنا ولا يدركنا العدل انتظرنا النور فها الظلام. والشعاع فها سرنا فى الظلمة من أجل أن آثامنا تكاثرت قدامك وخطايانا أجابتنا لأن فجورنا معنا وآثامنا عرفناها أن نخطى ونكذب على الرب واندبرنا إلى خلف حتى أن لا نسلك وراء إلا هنا لنتكلم بالظلم والتعدى حبلنا وتكلمنا من القلب بكلام كاذب ».

● وفى الباب الرابع والستين من كتاب أشعياء هكذا: « ٦- وصرنا جميعاً كالنجس وكخرقة الحائض كل براتنا وسقطنا مثل الورق نحن جميعاً وآثامنا كالريح ذرونا ليس من يدعو بإسمك ومن يقوم ويمسكك أخفيت وجهك عنا وأطرحتنا بيد إثمنا.

فى هذين الموضعين من سفر أشعياء ورد صيغ التكلم مع الغير، وأشعياء وغيره من أنبياء عهده وصلحاء زمانه، وإن لم يكونوا معصومين، لكنهم لم يكونوا مصاديق هذه الأوصاف المصرحة فى العبارات السابقة. فلا تكون إذن العبارات محمولة على المعانى الحقيقية الظاهرية. بل لا بد فيها من الرجوع إلى أن تلك التضرعات بمقتضى العبودية(١).

٢- أفعال الأنبياء كثيراً ما تكون لتعليم الأمة لتستن بهم، ولا يكونون محتاجين إلى هذه الأفعال لأجل أنفسهم. والدليل من الأناجيل:

● فى الباب الرابع من إنجيل متى أن عيسى عليه السلام صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة.

---

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.

● في الآية الخامسة والثلاثون من الباب الأول من إنجيل مرقس هكذا: « وفى الصبح باكر جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك ».

● والآية السادسة عشرة من الباب الخامس من إنجيل لوقا هكذا: « وأما هو فكان ينعزل فى البرارى ويصلى ».

● فى الآية الثانية عشرة من الباب السادس من إنجيل لوقا هكذا: « وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى وقضى الليل كله فى الصلاة لله ».

ولما كان إتحاد المسيح بذات الله على زعم أهل التثليث فلا حاجة له إلى هذه التكاليف الشديدة، فلا بد أن تكون هذه الأفعال لأجل التعليم(١).

٣- الألفاظ المستعملة فى الكتب الشرعية مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والنكاح والطلاق وغيرها يجب أن تحمل على معانيها الشرعية ما لم يمنع عنها مانع، ولفظ الذنب فى هذا الإصطلاح الشرعى إذا استعمل فى حق الأنبياء يكون بمعنى الزلة، وهى عبارة عن أن يقصد معصوم عباده أو أمراً مباحاً ويقع بلا قصد وشعور فى ذنب لمجاورة هذه العبادة أو الأمر المباح بهذا الذنب، كما أن السالك يكون قصده قطع الطريق لكنه قد يزل قدمه أو يعثر بسبب طين أو حجر واقع فى ذلك الطريق، وقد يكون الذنب بمعنى ترك الأولى(٢).

٤- وقوع المجاز فى كلام الله وكلام أنبيائه كثير.

والدليل على أن المجاز مشتهر فى العهد العتيق والجديد ما يلى:

قال صاحب (مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين) فى الفصل الثالث عشر من كتابه: « وأما اصطلاح الكتاب المقدس فإنه ذو استعارات وافرة غامضة، وخاصة العهد العتيق ».

ثم قال: « واصطلاح العهد الجديد أيضاً هو استعارى جدا، وخاصة

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.
(٢) المصدر السابق.

مسامرات مخلصنا، وقد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمي النصارى شرحوها شرحاً حرفياً، ولأجل ذلك نقدم بعض أمثال لنرى بها أن تأويل الاستعارات حرفياً أو ظاهرياً ليس صوابا، وذلك:

- كقول المسيح عن هيرودس: «اذهبوا وقولوا لذلك الثعلب» فمن المعلوم أن المراد بلفظة (الثعلب) فى هذه العبارة جبار ظالم، لأن الحيوان المدعو هكذا معروف بالحيلة والغدر.

- قال ربنا لليهود: «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء فكل من أكل من هذا الخبز يحيى إلى الأبد والخبز الذى أعطيه هو جسدى سوف أعطيه لحياة العالم» (يوحنا صـ٦).

والتأويل الصحيح لقول ربنا فهو أن الخبز بمثل جسده والخمر بمثل دمه،ولقد خاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟ فقال لهم المسيح «إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان ولم تشربوا من دمه فليس لكم حياة فيكم من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه كما أرسلنى الأب الحى وأنا حى بالأب فمن يأكلنى فهو يحيي بى فقال كثيرون من تلاميذه: إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه فرجع كثيرون منهم من صحبته (أى ارتدوا) فهنا لم يفهم اليهود كلام المسيح والتلاميذ إستصعبوه وارتد كثير منهم.

- وقع فى الباب الثانى من إنجيل يوحنا مكالمة المسيح عليه السلام مع اليهود الذين كانوا يطلبون المعجزة هكذا: «١٩- أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه فقال اليهود: فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل أفأنت فى ثلاثة أيام تقيمه وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده فلما قام من الأموات

تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذى قاله يسوع»، فهنا لم يفهم تلاميذه فضلاً عن اليهود، لكن فهم التلاميذ بعدما قام من الأموات.

كل هذه النصوص وغيرها أكثر تثبت أن ألفاظ المسيح عليه السلام لم تكن على وجه الحقيقة وإنما المجاز وتفسيراتها لا يمكن أن تكون حرفية لفظية ولابد من التأويل الصحيح فى باطن الألفاظ ومعانيها غير المباشرة. إذن فلا حجة إذا احتج أهل الكتاب ببعض ما فى القرآن كقوله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ وغيرها لأننا لو سننا بهذه الآية وغيرها سنة ألفاظ أهل الكتاب فلا يبعد ألا يكون المعنى الظاهرى مراداً[١].

٥- الدعاء قد يكون المقصود منه محض التعبد كما فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فإن إيتاء ذلك الشيء واجب، ومع ذلك أمرنا بطلبه، وكقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢] مع أنا نسلم أنه لا يحكم إلا بالحق. انتهى من كلام رحمة الله هندي[٢].

---

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.
(٢) المصدر السابق.

الرد
من النبع الصافى والمعين النقى - الكتاب والسنة

الإستغفار – طلب الغفران، والغفران – الستر على القبيح، وهذا الستر يتصور على وجهين:

الأول: بالعصمة منه، لأن من عصم فقد ستر عليه قبائح الهوى.

الثانى: بالستر بعد الوجود.

فالغفران فى الآيتين الأوليين بالوجه الأول فى حق النبى ﷺ، وفى الثانية بالوجه الثانى فى حق المؤمنين والمؤمنات(١).

تفسير الآية: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر:٥٥].

قال القرطبى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ قيل: لذنب أمتك حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل هذا تعبد للنبى ﷺ بالدعاء. وقيل فاستغفر الله من ذنب صدر منك قبل النبوة(٢).

قال ابن عطية: يحتمل أن يكون قبل إعلام الله تعالى إياه أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لأن الآية سورة مكية، وآية سورة الفتح مدنية متأخرة، ويحتمل أن يكون الخطاب له فى هذه الآية، والمراد أنه إذا أمر هو بهذا فغيره أحرى بامتثاله(٣).

وقال الرازى: محمول على التوبة من ترك الأفضل والأولى وقيل: المقصود

---

(١) إظهار الحق لرحمة الله هندي.
(٢) تفسير القرطبي.
(٣) تفسير ابن عطية.

منه محض التعبد. قال الرازى فى تفسير الآية (واعلم أن مجامع الطاعات محصورة فى قسمين: التوبة عما لا ينبغى، والاشتغال بما ينبغى)، والأول مقدم على الثانى بحسب الرتبة الذاتية فوجب أن يكون مقدماً عليه فى الذكر، أما التوبة عما لا ينبغى فهو قوله ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ والطاعنون فى عصمة الأنبياء عليهم السلام يتمسكون به ونحن نحمله على التوبة عن ترك الأولى والأفضل أو على ما كان، وقد صدر عنهم قبل النبوة، وقيل أيضاً المقصود منه محض التعبد كما فى قوله: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤][١].

قال فى تفسير أبى السعود ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ تداركاً لما فرط منك من ترك الأولى فى بعض الأحايين فإنه تعالى كافيك فى نصرة دينك وإظهاره على الدين كله[٢].

قال فى تفسير البيضاوى ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ على أذى المشركين ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ « إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ » بالنصر لا يخلفه، وإستشهد بحال موسى وفرعون ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك بترك الأولى والإهتمام بأمر العدا بالإستغفار، فإنه تعالى كافيك فى النصر إظهار الأمر[٣].

قال فى تفسير البغوى فى قوله تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾، هذا تعبير من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده[٤].

قال فى تفسير التحرير والتنوير « وعطف على الأمر بالصبر الأمر بالإستغفار والتسبيح فكانا داخلين فى سياق التفريع على الوعد بالنصر » وقال بعدها « والأمر بالاستغفار أمر بأن يطلب من الله تعالى المغفرة التى اقتضتها النبوة، أى إسأل الله

---

(١) تفسير الرازي.
(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود.
(٣) تفسير البيضاوي.
(٤) تفسير البغوي.

دوام العصمة لتدوم المغفرة، وهذا مقام التخلية عن الأكدار النفسية، وفيه تعريض بأن أمته مطلوبون بذلك بالأحرى كقوله: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، وأيضاً فالنبى ﷺ مأمور بالاستغفار تعبداً وتأدباً(١).

الجواب عن الإحتجاج بأحاديث الرسول التى فيها إستغفار من الذنوب وإستعاذه من الشرور:

ولقد قال المفسرون والشراح للأحاديث التى فيها يستعيذ فيها من منكرات الأخلاق أو أن يطلب من الله أن يباعد بين خطاياه كما باعد بين المشرق والمغرب – قال الشراح – وإنما قصد تعليم الأمة أو إظهار العبودية.

قال فى فيض القدير: قال الزركشى: ما كان مجتمعاً فى المصطفى ﷺ من الأخلاق والمعجزات صار متفرقاً فى أمته بدليل أنه كان معصوماً وأمته إجماعها معصوم وقد أكمل الله عليهم النعمة وجعلهم شهداء على الأمم قبلهم وحكم أنهم خير أمة أخرجت للناس فلا فضل يوازى فضلهم وهم الآخرون السابقون يوم القيامة أكثر أهل الجنة وإن كانوا فى الأمم كالشامة(٢).

قال الصنعانى فى سبل السلام: وأما ما استشكل به من أنه كيف يستغفر وقد غفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو أيضاً معصوم، فإنه من الفضول لأنه أخبر بأنه يستغفر الله ويتوب إليه فى اليوم سبعين مرة، وعلمنا الاستغفار فعلينا التأسى والامتثال لا إيراد السؤال والاستشكال، وقد علم هذا من خاطبهم بذلك فلم يوردوا إشكالاً ولا سؤالاً ويكفينا كونه ذكر الله على كل حال، وهو مثل طلبنا للرزق. وقد تكفل به وتعليمه لنا على ذلك «ارزقنا وأنت خير الرازقين» وكله تعبد وذكر لله تعالى(٣).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.
(٢) فيض القدير للمناوي.
(٣) سبل السلام للصنعاني.

وقال فى فتح البارى فى شرح حديث إستعاذته ﷺ من المأثم والمغرم قال: وقد استشكل دعاؤه ﷺ بما ذكر مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم وما تأخر، وأجيب بأجوبته، أحدها: أنه قصد التعليم لأمته، ثانيها: أن المراد السؤال منه لأمته فيكون المعنى هنا أعوذ بك لأمتى، ثالثها: سلوك طريق التواضع وإظهار العبودية وإلزام خوف الله وإعظامه والإفتقار إليه وإمتثال أمره فى الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقيق الإجابة لأن ذلك يحصل الحسنات ويرفع الدرجات، وفيه تحريض لأمته على ملازمة ذلك لأنه كان مع تحقيق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة[١].

قال إبن بطال فى الغرض من استغفاره ﷺ: «ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل أو شرب أو جماع أو نوم أو راحة، أو لمخاطبة الناس والنظر فى مصالحهم، ومحاربة عدوهم تارة ومداراته أخرى، وتأليف المؤلفة وغير ذلك مما يحجبه عن الإشتغال بذكر الله والتضرع إليه ومشاهدته ومراقبته، فيرى ذلك ذنباً بالنسبة إلى المقام العلى وهو الحضور فى حظيرة القدس، ومنها أن استغفاره تشريع لأمته، أو من ذنوب الأمة فهو كالشفاعة لهم، وقال الغزالى فى «الإحياء» كان ﷺ دائم الترقى، فإذا ارتقى إلى حال رأى ماقبلها دونها فاستغفر من الحالة السابقة، وقال الشيخ السهروردى: لما كان روح النبي ﷺ لم يزل فى الترقى إلى مقامات القرب يستتبع القلب، والقلب يستتبع النفس، ولا ريب أن حركة الروح والقلب أسرع من نهضة النفس فكانت خطا النفس تقصر عن مداها فى العروج، فاقتضت الحكمة إبطاء حركة القلب لئلا تنقطع علاقة النفس عنه فيبقى العباد محرومين، فكان ﷺ يفزع إلى الاستغفار لقصور النفس عن شأو ترقى القلب، والله أعلم[٢].

قال فى عمدة القارى: فإن قلت: النبى ﷺ معصوم عن الكبائر والصغائر

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري.
(٢) المصدر السابق.

فما ذنبه الذى غفر له؟ قلت: المراد منه ترك الأولى والأفضل بالعدول إلى الفاضل، وترك الأفضل كأنه ذنب لجلالة قدر الأنبياء، عليهم السلام، ويقال: المراد منه ذنب أمته.

وقال أيضاً فى عمدة القارى فى باب قول النبى ﷺ: اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، قال النووى: قال ذلك تواضعاً، وعد ذلك على نفسه ذنباً. وقيل: أراد ما كان عن سهو، وقيل: ما كان قبل النبوة، وعلى كل حال هو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فدعا بهذا وغيره تواضعاً، ولأن الدعاء عباده.

قلت: هذا إرشاد لأمته وتعليم لهم، وهو معصوم عن الذنوب جميعاً قبل النبوة وبعدها، ويحتمل أن يكون المراد ما قدم الفاضل وأخر الأفضل(١).

أما قولهم فى هذا المطعن بانه إذا كان ﷺ مذنباً فكيف يشفع للمذنبين، فإنه لا استبعاد فى أن يغفر الله ذنوب واحد بلا واسطة، ثم يقبل شفاعته فى حق الآخرين، على أن قبح الذنب عقلاً ما لم يغفر، فإذا غفر لا يبقى قبحه لوجه ما، وقد يوجد التصريح فى الآية التى فى سورة الفتح ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢] فإن صارت ذنوب محمد ﷺ – متقدمة كانت أو متأخرة – مغفورة فى هذه الدار الدنيا فما بقى شيء مانع فى أن يكون شفيعاً للآخرين فى الدار الآخرة(٢).

---

(١) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري.
(٢) إظهار الحق لرحمة الله هندي.

المطعن الخامس
لم يرد في أى من النصوص لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد ذكر لمحمد ﷺ

لم يرد أى ذكر لمحمد ﷺ في نصوص العهد القديم ولا الجديد وطالما لم يذكر فهو ليس نبى لأنه لو كان نبياً رسولاً خاتماً كما تدعون أيها المسلمون لكان من المستحيل أن يغفل ذكره أو الإشارة إليه في كل النصوص سواءً في العهد القديم أو الجديد.

تمهيد:

قبل أن نسرد بشارت العهد القديم والجديد بالنبى محمد بن عبد الله ﷺ نود أن نشير إلى أن النبى ﷺ بعث في أمة يعيش بجوارها كثير من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومعهم أحبارهم ورهبانهم. ومع هذا فقد أعلن النبى ﷺ في قرآن يتلى أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم. وكيف يمكن لرسول الله ﷺ أن يعلن أن التبشير به قد تم في كتبهم لولا أن ذلك حق...... ماكان يتجرأ على هذا الإعلان الذى يمكن أن يكذب فيه بسهولة من قبل كل اليهود والنصارى لولا أنه من عند الله الذى يعلم أنه الحق.

ولكن ماذا حدث!!..... في الواقع لا يسع أى عاقل – سواءً أكان يهودياً أم نصرانياً – إلا الإقرار بتعرض الكتاب المقدس لتحريف كبير..... كيف ومؤلفوه والذين تناقلوه عبر قرون طويلة مجهولون، بل كيف وقد ثبت أن نسخه ضاعت تماماً وأنها لم تكتب إلا من بعد من نسبت إليهم بقرون كثيرة، ويستوى في ذلك الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام وتلك المنسوبة إلى بقية الأنبياء كداود

ودانيال وغيرهم، وكذلك الرسائل والأناجيل النصارنية والتى لم تعرف إلا بعد قرون عديدة من بعد المسيح عليه السلام.

وذلك أوضح ما يكون في كتب النصارى التى تنسب إلى تلامذة المسيح لا إليه، ومع أن التلاميذ ليسوا بأنبياء ولا رسل فإنه حتى لا سند ولا دليل على صحة نسبة الكتب والرسائل إلى من نسبت إليهم من التلاميذ، فالكلام المكتوب في هذه الأسفار واضح أنه لكاتبه وليس لله أو لرسول من رسله، إلا في مواضع قليلة يبدو وكأن المتحدث فيها قد يكون الله عز وجل أو الرسول الذى ينسب إليه السفر أو غيره، وهى مع ذلك مقطوعة السند ومجهولة الكاتب والناقل ومتضادة فيما بينها(١).

والتحريف الذى وقع أدلته لا تحصى، وقد أشار العهد القديم إلى هذا التحريف، فمثلاً: جاء في إرميا ٣٦:٢٣ « أما وحى الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحى رب الجنود إلهنا » وفى إرميا ٨:٨ « أما شعبى فلم يعرفوا قضاء الرب، كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا، حقاً إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب » وفى المزمور ٦٥ : ٤–٥ : « ماذا يصنعه بى البشر، اليوم كله يحرفون كلامى، على كل أفكارهم بالشر».... وفى أشعيا ٢٩ : ١٦ « ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم في الظلمة.... يالتحريفكم ».

وجاء بالقرآن الكريم إشارات متعددة إلى تحريف بنى إسرائيل لكلام الله ووحيه على أنبيائه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة]

---

(١) تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله ﷺ لنصر الله أبو طالب.

وفى الحديث الثابت الذى رواه البخارى أن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً.

ورغم كل التحريف والتغيير والتبديل الذى حدث لكتب أهل الكتاب وأسفارهم إلا أنها مازال فيها الإشارات الكثيرة المبشرة بنبى آخر الزمان ﷺ، ورغم اجتهاد وحرص الأحبار والرهبان على محو صفته ونعته ﷺ من كتبهم إلا أن كثيراً من الإشارات ما زال موجوداً.... لك أن تتخيل أيها القارىء الكريم فكيف لو تركت هذه الأسفار المقدسة من غير تحريف ولا تغيير، من المؤكد أن البشارات به عليه الصلاة والسلام كانت تفوق الحصر وهذا مصداق قوله تعالى في صفة المرحومين ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

هذا وقد شاء الله أن يتبقى من الإشارات شيء لم يتمكنوا من محوه وتغييره وتبديله عبر هذه العصور الكثيرة حتى يبقى شاهد عليهم من أنفسهم.

وإليك أيها القارىء هذه النصوص والبشارات ومع كل بشارة نذكر مصداقها من الكتاب والسنة أولاً بأول حتى يظهر أن القرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.

أولاً/ التبشير بمملكة الله القادمة (بشارة بالإسلام ورسوله ﷺ):

١- بشارة دانيال ورؤيا نبوخذنصر:

فى السنة الثانية من ملك نبوخذنصر (أو بختنصر) حلم نبوخذنصر أحلاماً فانزعجت روحه وطار نومه، فأمر الملك بأن يستدعى المجوس والسحرة والعرافين

والكلدانيون ليخبروا الملك فأتوا ووقفوا أمام الملك..... إن لم تنبئونى بالحلم وبتعبيره تصيرون إرباً إرباً.... أجاب الكلدانيون قدام الملك وقالوا: ليس على الأرض إنسان يستطيع أن يبين أمر الملك.... لأجل ذلك غضب الملك واغتاظ جداً وأمر بإبادة كل حكماء بابل فخرج الأمر وكان الحكماء يقتلون فطلبوا دانيال وأصحابه ليقتلوهم... حينئذ لدنيال كشف السر في رؤيا الليل.... أجاب دانيال قدام الملك، وقال: السر الذى طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجمون على أن يبينوه للملك لكن يوجد إله في السماوات كاشف الأسرار، وقد عرف الملك نبوخذنصر ما يكون في الأيام الأخيرة.... "أنت أيها الملك رأيت صنماً عظيماً رأسه من ذهب، وساعده من فضة، وبطنه وفخذه من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من الخزف، فبينما أنت متعجب منه إذ أقبلت صخرة فدقت ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتاً ثم نسفته الرياح وذهب، وتحول ذلك الحجر إنساناً عظيماً ملأ الأرض، فهذا ما رأيت أيها الملك» قال الملك: صدقت في تأويلها؟ قال «أنت الرأس من ذهب، وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق كل شيء ويسحق كل شيء، وبما رأيت القدمين وأصابع القدمين بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قصيماً. وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لا تنقرض أبداً، وملكها لايترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد.... الله العظيم قد عرّف الملك ما سيأتى بعد هذا. الحلم حق وتعبيره يقين، حينئذ خر نبوخذنصر على وجهه وسجد لدانيال وأمر بأن يقدموا له

تقدمه وروائح سرور، فأجاب الملك دانيال وقال حقاً إن إلهكم إله الآلهه ورب الملوك وكاشف الأسرار إذا استطعت على كشف هذا السر[١].

تفصيل الممالك الأربعة قبل مملكة الله (الإسلام):

يتفق هنا سجل التاريخ مع تفسير أهل الكتاب من أن الممالك الأربع هى :

١ـ مملكة البابليين (نبوخذنصر أحد حكامها) .

٢ـ مملكة الفارسيين عام ٥٣٩ ق.م .

٣ـ مملكة الإغريق (مملكة الإسكندر ومن بعده ٣٣١ ق.م) .

٤ـ مملكة الرومان (خلفت الإغريق وإنتزعوا الأرض منهم ٦٣ ق.م) .

إذن فقد كانت مملكة الرومان بذلك هى المملكة الأخيرة (الرابعة) التى ينبغى أن تأتى بعدها مملكة الله.... وكل هذه الممالك الأربع (البابليون ثم الفرس ثم الإغريق ثم الرومان) إستولت على الأرض المباركة بفلسطين وحكمتها .

والسؤال هنا بعد كل هذا من حكم الأرض المباركة من بعد الرومان؟ وهل كان يستحق مملكة الله؟ فإن الرجاء ألا تكون دولته وثنية أخرى كالأربع ممالك السابقة، فعندها تبطل النبوءة التى تبشر بمملكة تشريعها من عند الله تعالى تأتى بعد المملكة الرابعة (الروم) ؟

والإجابة ساطعة باهرة... من الذى بعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الأرض وأممها حتى امتلأت الأرض من أمته، وسلطانه دائم إلى آخر الدهر؟

إنه محمد بن عبد الله ﷺ، كذلك من غير دولة الإسلام ورث الأرض المباركة وحكمها من بعد الرومان؟ ومن غير دولة الإسلام أنهى إمبراطورية

(١) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب، دار الكتاب المقدس.

الرومان وقضى عليها حتى أصبحت عاصمتها الوحيدة (القسطنطينية) حينها عاصمة لدولة الإسلام؟

ومن غير دولة الإسلام دولة قامت على رسالة سماوية ودعوة للإيمان بالله والإحتكام إلى شرعه؟ من غير دولة الإسلام دولة جاءت بهدى الله الخاتم وبدينه الأخير الباقى إلى يوم القيامة؟[١].

٢- تبشير المسيح عليه السلام بمملكة الله القادمة كهدف أساسى لبعثته:

يقول الدكتور نصر الله أبو طالب:

«إن كلمة الإنجيل نفسها تعنى البشارة (بالأخبار الطيبة) . . . فجاء المسيح مبشراً وأطلق على من أرسلهم في دعوته مبشرين، لأنهم جميعاً أرسلوا ليبشروا بالخبر الطيب . . . والسؤال هو عما كان ذلك الخبر الطيب؟ . . . .

لقد كان خبراً طيباً عن دولة الله ومملكته التى تكلم عنها الأنبياء، لقد كان خبراً بأن زمن ظهورها قد اقترب وأنها قد أصبحت وشيكة القيام . . . . ولم لايكون ذلك الخبر طيباً للناس ولبنى إسرائيل . . . . وهو الخبر للمؤمنين بأن أثقال الماضى وإصره الذى تراكم نتيجة عناد الآباء سيرفع كاملاً . . . . وهو الخبر بأن متاعب الماضى ومشاكله ستنس وأن صفحة جديدة وتسبيحه جديدة ستفتح. وهو الخبر بأن دين الله ورحمته ستعم شعوب الأرض كلها من مختلف الألسن والألوان . . . وأن المساكين سيرثون الأرض فيقيمون دولة الله ومملكته في الأرض . . . وأنه لن يحتكر دين الله ولا تفسير كتبه زمرة أو أقلية متاجرة من الرهبان . . . إنه الخبر بأن فضل الله على الناس ورحمته للعالمين قد أوشكت على البزوغ وأنها ستشمل كل الأجناس.

تحكى الأناجيل المعاصرة المعترف بها لدى النصارى المعاصرين أن عيسى عليه السلام كان يسير بين المدن والقرى يبشر بقدوم مملكة الله . . . وكان يرسل

(١) تباشير الإنجيل والتوراة، لنصر الله أبو طالب ، دار الكتاب المقدس.

حوارييه لنفس المهمة ويوصيهم ألا يتجاوزوا المدن والقرى اليهودية. ويذكر (متى ٤ : ١٧) «أن المسيح ﷺ بدأ دعوته أول ما بدأ بعد استشهاد يحيى عليه السلام وبعد ثباته عندما ابتلى هو نفسه بإبليس، بدأ دعوته مبشراً اليهود باقتراب مملكة الله وبدأ يسوع من ذلك الحين ينادى، فيقول: «توبوا، قد اقترب ملكوت السماوات»، ويعلن بشارة اقتراب مملكة الله في كل مجامع الجليل بل في كل قرى اليهود ومدنهم».

فورد في متى ٤ : ٢٣: «وكان يسير في الجليل كله، يعلم في مجامعهم ويعلن بشارة الملكوت» ويذكر لوقا ٨ : ١ أنه «كان يسير في كل مدينة وقرية ينادى ويبشر بملكوت الله ومعه الإثنا عشر»، وأنه كان يقول: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت (مملكة الله)» مرقص ١ : ١٤، وعقب متى ١٠ :٥ على تعداده لأسماء الحواريين فقال: (هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بنى إسرائيل الضالة (أى شعب إسرائيل) وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين: أنه قد اقترب ملكوت السماوات) وأمرهم أن يخبروا باقتراب مملكة الله لكل المدن التى قبلتهم والتى رفضتهم على السواء (لوقا ٩ : ١-١٠)، وروى لوقا في إنجيله (٤ :٣٤) أن المسيح ذكر أن التبشير بمملكة الله هو الهدف من إرساله إلى بنى إسرائيل: فقال لهم: «يجب على أن أبشر سائر المدن أيضاً بملكوت الله، فإنى لهذا أرسلت»، وأخذ يبشر في مجامع اليهودية»... وأمر أتباعه بأن تكون قضية مملكة الله هى همهم الأول (متى ٦ : ٣٣)، وأمرهم - كما ذكر في متى (٦: ١٠) - بالدعاء في صلواتهم بمجيء مملكة الله: ليقدس إسمك، ليأت ملكوتك، ليكن ما تشاء في الأرض كما في السماء....». وما زال النصارى حتى اليوم بعد ألفى عام من تبشير المسيح بمملكة الله يدعون في صلواتهم

بقدومها، مع أن المسيح بشر بأن قيامها سيكون قريباً، وأن دانيال قد بشر بأنها المملكة القادمة من بعد المملكة الرابعة من عصره (مملكة الروم)[١].

مصداق هذا من كتاب الله (القرآن):

في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

الأمثلة التى ضربها المسيح في تبشيره بمملكة الله القادمة وبالنبى الخاتم:

١- الحجر الذى رفضه البناءون:

قال في إنجيل متى: قال لهم يسوع: «أما قرأتم قط في الكتب»: الحجر الذى رفضه البناة، هو نفسه صار حجر الزاوية الأساسى، من الرب كان هذا، وهو عجيب في أنظارنا، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله سينزع من أيديكم ويسلم الى شعب يؤدى ثمره، فأى من يقع على هذا الحجر ينكسر، ومن يقع الحجر عليه يسحق سحقاً»[٢].

التعليق: تضيف هذه البشارة بعداً آخر في تمييز هوية هذه المملكة ونبيها، ففى بناء النبوة كان الحجر المشارك من بنى إسماعيل قد رفض في ظاهر الأمر إلى الصحراء.... وانعزل بها أبناء بنى إسماعيل، وانحرفوا حتى عبدوا الأوثان وخرجوا عن ملة أبيهم إبراهيم... وإذا بالمسيح يشير إلى هذا الحجر وأهميته في

---

(١) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب.
(٢) دار الكتاب المقدس.

بناء النبوة وهذا الحجر قد غدا أهم حجر في البناء على الإطلاق، وكان ذلك حين إنتقلت إليه مملكة الرب من بعد بنى إسرائيل وظهر به خاتم الأنبياء[١].

لم لا يكون الحجر هو المسيح نفسه؟

لأنه كان قد رفض من اليهود مثله في ذلك مثل من رفض قبله من أنبيائهم، وليس هنالك ما يدعو لتمييزه بأنه النبى (الحجر) الذى رفض.... وقد انطوت من خلال المثل صفحته مع اليهود بمحاولتهم قتله وغيابه عن الأحداث من بعدها كما طوت هذه الرسائل صفحة من سبقه من المرسلين الذين قتلهم بنو إسرائيل... لكن حديثه عليه السلام هذا هو عن نبى من بعده من غير اليهود سيقيم مملكة الله على الأرض من بعد عصره عليه السلام.

والمقصود أن هذه البشارة بشرت بمملكة الله الناشئة من أمة غير اليهود بعد أن فشل اليهود في الوفاء باستحقاقها... ناشئة على يد نبى من الفرع الذى لم يكن يبدو مهماً في بناء الدعوة فغدا حجر الزاوية منه[٢].

مصداق هذا في الكتاب والسنة:

قول النبى ﷺ في بيان معنى المثل الذى قاله المسيح (ألم تر إلى الحجر الذى رفضه) وبيان تأويله وقد قال المسيح في بعض الأناجيل أن النبى المنتظر يأتيكم بالتأويل وأنا آتيكم بالأمثال قال محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام «**إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**». رواه البخارى

وتأمل قول المسيح في هذه البشارة: «إن ذلك عجيب في أعيننا» وتأمل قوله

(١) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب.
(٢) المصدر السابق.

فيها: «إن ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع إلى أمه أخرى» كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

٢- مثل العمال وأجرتهم:

النص: متى ١:٢٠-١٦: «فمثل ملكوت السماوات كمثل رب البيت خرج عند الفجر ليستأجر عملة لكرمه، فاتفق على العملة على دينار في اليوم أرسلهم لكرمه، ثم خرج نحو الساعة التاسعة، فرأى عمله آخرين قائمين في الساحة بطالين، فقال لهم: "اذهبوا أنتم أيضاً إلى كرمى، وسأعطيكم ما كان عدلاً فذهبوا، وخرج أيضاً نحو الظهر ثم نحو الثالثة بعد الظهر، ففعل مثل ذلك، وخرج نحو الخامسة بعد الظهر، فلقى أناساً آخرين قائمين هناك، فقال لهم: لماذا قمتم هاهنا طوال النهار بطالين؟ قالوا له: لم يستأجرنا أحد. قال لهم: (إذهبوا أنتم أيضاً إلى كرمى). ولما جاء المساء قال صاحب الكرم لوكيله: (ادع العملة وادفع لهم الأجرة، مبتدئاً بالآخرين منتهياً بالأولين). فجاء أصحاب الساعة الخامسة بعد الظهر وأخذ كل منهم ديناراً. ثم جاء الأولون، فظنوا أنهم سيأخذون أكثر من هؤلاء، فأخذ كل منهم أيضاً ديناراً. وكانوا يأخذونه ويقولون متذمرين على رب البيت: «هؤلاء الذين أتوا آخرا لم يعملوا غير ساعة واحدة، فساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار وحره الشديد. فأجاب واحداً منهم: (يا صديقي، ما ظلمتك، ألم تتفق معى على دينار؟ خذ مالك وانصرف. فهذا الذى أتى آخراً أريد أن أعطيه مثلك: ألا يجوز لى أن أتصرف

بمالى كما أشاء؟ أم عينك حسود لأنى كريم؟ فهكذا يصير الآخرون أولين والأولون أخرين[١].

التعليـق:

ويضرب المسيح ﷺ مثلاً آخر لمملكة الله وأمتها القادمة من بعد بنى إسرائيل الذين يتحدث إليهم كآخر الأنبياء إليهم.... فيشير المسيح هنا إلى تمييز وتفضيل الأمة القادمة التى ستنشئ مملكة الله عما قبلها من الأمم... فمثلها كمثل عمال إستؤجروا في آخر ساعة من النهار وأعطوا أجرهم قبل غيرهم، وبأجر مساوٍ لأجر الذين عملوا من الفجر أو الصباح أو الظهر أو بعد الظهر حتى المساء.... وليس هناك أدنى شك أنه قصد بالمعترضين اليهود، وأن الحديث هذا هو عن غيرتهم وحسدهم للأمة القادمة من بعدهم والتى ستحمل لواء الدعوة إلى الله. وهذا المثل المنسوب إلى المسيح ﷺ يصور مدى حسد اليهود واعتراضهم على فضل الله أن يعطى لغيرهم ممن جاء بعدهم. وقد بلغ حسدهم أن قتلوا الأنبياء الذين كانوا يبشرون بأن المصطفى المنتظر آخر الأنبياء ليس يهودياً كما في أعمال الرسل ٧ :٥١ «هم قتلوا رسل الله الذين سبق أن بشروا بمجيء العبد الصالح»[٢].

مصداق هذا من الكتاب والسنة:

المثل الذى ضربه المسيح ﷺ في إنجيل متى للعمال في بستان العنب مطابق تماماً لما قاله عليه الصلاة والسلام في حديث البخارى ونصه «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**» تأمل مطابقته لقول المسيح ﷺ فهكذا يصير الآخرون أولين والأولون آخرين».

ومثل الإجارة في بستان العنب مطابقة لقوله ﷺ في حديث البخارى عن

(١) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب، دار الكتاب المقدس.
(٢) المصدر السابق.

عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل إستعمل عمالاً فقال: من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم أنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً، قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا فقال: فذلك فضلى أوتيه من أشاء**».

وتأمل مطابقة مثل المسيح عليه السلام في مضاعفة الأجر لأمة محمد ﷺ وأنها ملكوت الله أو السماوات القادم، تأمل مطابقته لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[الحديد: ٢٨-٢٩].

وخلاصة القول أن المسيح بشر بأن ملكوت الله القادم أو أمة محمد ﷺ مع أنهم آخرون زماناً في الدنيا ولكنهم الأولون من بين الأمم الصالحة في دخول الجنة وهذا ما صدق عليه الرسول ﷺ بقوله: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**». وذلك من فضل الله على أمة الإسلام... وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وللمعترضين على أمر الله العذاب المهين... ولو أن المعترضين اتبعوا وصية عيسى ومن قبله من أنبيائهم بالإنضواء ضمن مملكة الإسلام لشملهم الفضل بالإيمان بنبوة المصطفى عليه الصلاة والسلام[١].

٣- مثل الزرع الذى نما قوياً:

النص: متى ١٣: ٣١-٣٢ «وضرب لهم مثلاً آخر، قال: مثل ملكوت السماوات كمثل حبة خردل أخذها رجل فزرعها في حقله، هى أصغر البذور

---

(١) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب.

كلها فإذا نمت كانت أكبر البقول، بل صارت شجرة حتى إن طيور السماء تأتى فتعشش في أغصانها[١].

التعليق ومصداق هذا من القرآن:

يضرب المسيح عليه السلام المثل هنا كيف ستبدأ مملكة الله (الإسلام) ضعيفة ممثلة بفرد واحد هو رسول الله محمد ﷺ مستخفياً ومهدداً... ثم تنمو تدريجياً وتقوى حتى تصبح أقوى ممالك الأرض في زمانها... وتأوى إليها الشعوب من جور حكامها... وقد تم ذلك للأمة الإسلامية بفضل الله حتى بلغ ملك الأمة الأراضى من أطراف الصين إلى أواسط فرنسا، ومن سيبيريا إلى أواسط أفريقيا... وتأمل مطابقة هذا المثل لما في القرآن: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩][٢].

ثانياً- البشارة بالنبى المنتظر محمد ﷺ:

١- بشارة التوراة:

قال في سفر التثنية (١٨: ١٥-٢٠) «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه (أو: فإنى أحاسبه)، وأما النبى الذى يطعنى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى»[٣].

---

(١) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

التعليق:

هذا النص مما لا يمكن أحد منهم جحده وإنكاره، ولكن لأهل الكتاب فيه أربعة طرق: أحدها حمله على المسيح وهذه طريقة النصارى وأما اليهود فلهم فيه ثلاثة طرق: أحدها أنه على حذف أداة الإستفهام، والتقدير «ءأقيم لهم نبياً من إخوتهم» أى لا أفعل هذا، فهو إستفهام إنكار حذفت فيه أداة الإستفهام. ثانيها أنه خبر ووعد ولكن المراد به شمويل النبى (صموئيل) فإنه من بنى إسرائيل، والبشارة إنما وقعت بنبى من إخوتهم، وأخوة القوم هم بنو أبيهم، وهم بنو إسرائيل. ثالثها أن نبى يبعثه الله في آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه إلى الآن[١].

وقال المسلمون البشارة صريحة في النبى ﷺ العربى الأمى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فإنها وقعت بنبى من أخوة بنى إسرائيل لا من بنى إسرائيل نفسهم والمسيح من بنى إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال أقيم لهم نبياً من أنفسهم كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وإخوة بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يعقل في لغة أمة من الأمم أن بنى إسرائيل هم إخوة بنى إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه.

وأيضاً فإنه قال «نبياً مثلك» وهذا يدل على أنه صاحب شريعة عامة والمسيح إنما جاء متمماً لشريعة موسى لا ناقضاً مثل موسى، وهذا يبطل حمله على شمويل من هذا الوجه أيضاً، ويبطل حمله على يوشع من ثلاثة أوجه: **أحدها** أنه من بنى إسرائيل لا من إخوتهم...... **الثانى** أنه لم يكن مثل موسى، وفى التوراة: «لا يقوم في بنى إسرائيل مثل موسى»... **الثالث** أن يوشع

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم.

نبى في زمن موسى، وهذا الوعد إنما هو بنبى يقيمه الله بعد موسى. وبهذه الوجوه الثلاثة يبطل حمله على هارون، مع أن هارون توفى قبل موسى ونبأه الله مع موسى في حياته، ويبطل ذلك من وجه رابع أيضاً وهو أن البشارة تشير الى أنه ينزل عليه كتاباً يظهر للناس من فيه وهذا لم يكن لأحد بعد موسى غير النبى ﷺ(١).

وقد أثبتت البشارة وجود أدعياء كثيرين لنبوة النبى المصطفى المنتظر، وهؤلاء الكذابون منهم كثير قبل المصطفى ﷺ ومنهم في حال حياته ومنهم بعد وفاته ﷺ. ويلاحظ كيف صدقت فيهم النبوءة وكيف انتهى مصير أدعياء النبوة بمقتلهم إلا من تاب منهم وتراجع عن دعواه.... وهذا تصديق للوعد في التوراة بأن النبى المنتظر (مثيل موسى) سيحميه الله، أما أدعياء النبوة فسينتهون بالقتل... وقد قتل أنبياء صادقون لكنهم لم يدعو أنهم النبى الذى بشر به موسى أو أنهم المصطفى أو خاتم الأنبياء(٢).

ليس من بشر به سفر التثنيه بالمسيح عند النصارى:

البشارة إنما جاءت بواحد من إخوة بنى إسرائيل، وبنو إسرائيل وأخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم إله، والمسيح عندهم إله معبود، وهو أجل عندهم من أن يكون من إخوة العبيد، والبشارة إنما وقعت بعبد مخلوق يقيمه الله من جملة عبيده وإخوتهم، وغاية أن يكون نبياً لا غاية له فوقها وهذا ليس هو المسيح عند النصارى.

وأما قول المحرفين لكلام الله: إن ذلك حذف ألف إستفهام وهو إستفهام إنكار والمعنى لا أقيم لبنى إسرائيل نبياً، فتلك عادة لهم معروفة في تحريف كلام الله عن مواضعه والكذب على الله، وقولهم لما يبدلونه ويحرفونه ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ**

(١) هداية الحيارى لابن القيم.
(٢) تباشير الإنجيل والتوراة، لنصر الله أبو طالب.

الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩][١].

مصداق البشارة من كتاب الله:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٧].

٢- بشارة الإنجيل بالنبى الخاتم (بركليتوس القادم أو أحمد عليه الصلاة والسلام):

لقد كان من المؤكد أن يبشر المسيح بالنبى الخاتم بعده عليه الصلاة والسلام لأنه ليس من نبى بين المسيح وبين النبى ﷺ والفترة قصيرة بينهما.

أخبر عيسى عليه السلام كما تروى الأناجيل الحالية بقدوم مملكة الله من بعده، وتحدث عن رسولها الذى سينشئها... ولا نشك في أنه صرح بأن إسمه محمد أو أحمد عليه السلام... والقضية هى أنه لم تبق ولا نسخة واحدة من نسخ الإنجيل الأصلية، فعلاوة على أن الأناجيل الأربعة المعترف بها حالية مجهولة السند والتاريخ حتى اختارتها المجموعة التى انتقاها قسطنطين الوثنى من بين ما يزيد على سبعين إنجيلاً، فإن أقدم هذه النسخ مكتوب باليونانية لا العبرية ولا الآرمية التى تحدث بها عيسى عليه السلام... وبها تبشير بالباركليت أو الفارقليط الذى سيأتى بعد المسيح ويظل مع المؤمنين إلى الأبد... وليس هناك شك في أن هذا تبشير «بنبى آخر» من بعد عيسى عليه السلام، وأن هذا النبى هو الذى سيقيم مملكة الله التى ستبقى إلى الأبد... وبقاؤه إلى الأبد هو ببقاء رسالته وعدم نسخها ببعثة نبى آخر من بعده، فهو الذى تختم به النبوة، وهو الذى سيبين للنصارى

(١) هداية الحيارى لإبن القيم.

خطأ عقيدتهم عن المسيح، وخطأ عقيدتهم عن الخطيئة الأزلية وكفرانها، وسيعطى لعيسى عليه السلام المكانة التى تليق به كأحد أفضل الأنبياء عليهم السلام ويبطل زعم وإفتراء اليهود عليه وعلى أمه عليهما السلام.

البراكليت أو المعزى:

يقول الأستاذ إبراهيم خليل في كتابه «محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن» أن الباركليت "Paraclete" حرفت إلى المعزى مع أنها لا تعنى المعزى أو المخفف، بل كلمة باركلون "Paraclen" هى التى تعنى المعزى. وكلمة بيريكليت "Periclyte" المشتقة من الحمد والثناء.... فالنبى القادم محمود أو محمد أو أحمد أو مثنى عليه... ولا نشك في أن المسيح عليه السلام إنما كان في هذا الموضع يصرح بإسم رسول الله محمد ﷺ... فإسمه المشتق من الحمد والثناء ترجم إلى اليونانية (وأقدم نسخ الإنجيل الباقية حالياً هى يونانية كما ذكر أعلاه) إتباعاً لعادة نقل الأسماء بمعانيها أثناء الترجمة في الماضى..... فترجم إسم محمد إلى بيريكليت "Periclyte" التى تحمل نفس المعنى باليونانية... ثم حرفت هذه الكلمة إلى باركليت "Paraclete" والتى ما زالت موجودة في نسخ الإنجيل إلى وقت قريب.... وإن كانت قد ترجمت خطأ مؤخراً إلى المعزى أو المخفف[١]. وإليكم نصوص الأناجيل المبشرة به ﷺ[٢].

* يوحنا ١٤ : ٢٥

«بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب بإسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.......»

* يوحنا ١٤ : ١٥

«وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد......»

---

(١) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل.
(٢) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب، دار الكتاب المقدس.

* يوحنا ١٦ : ٧

« لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله لكم، ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطيئته وعلى بر وعلى دينونه » .

* يوحنا ١٥ : ٢٦

« ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذى من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الإبتداء » .

* يوحنا ١٦ : ١٢

« لا يزال عندى أشياء كثيرة أقولها لكم، ولكنكم لا تطيقون الآن حملها، فمتى جاء هو أى روح الحق، أرشدكم إلى الحق كله لأنه لن يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما سيحدث، وسيمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم به » .

التعليق:

إنه الرسول محمد ﷺ وحده الذى جاء بعد عيسى نبياً آخر، يظهر للناس الحقيقة كاملة عن الله وعن عيسى عليه السلام، ويعطى لعيسى وللأنبياء قبله المجد والتقدير الذى يستحقونه، ويذكر أهل الكتاب بالتعاليم الأصلية لأنبيائهم بما فيه عيسى عليه السلام، ويوبخ العالم على الخطيئة. إنه هو ﷺ الذى أرسل إلى جميع الخلق بالحق قولاً وعملاً وإعتقاداً في معرفة الله وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وقضائه وقدره وغيره. إنه هو ﷺ الذى وضح للعالم جانب الحق في الإيمان بيوم الدينونة ويريها سبل الخير... وهو لايتكلم من نفسه ولا من كتب بل بما يسمع من الوحى المنزل عليه... ويحدث الناس عن أمور غيبية آتية، وتظل تعاليمه معهم إلى الأبد « فلا حاجة لأنبياء آخرين يتعقبونه » فهو النبى الخاتم.

إن كل ما سبق من صفات ومهام وردت في الإنجيل عن الباركليتوس من بعد المسيح هى لرسول آخر (معزياً آخر) من عند الله من بعد عيسى ﷺ، لا يتجرأ أحد أن يدعيها لأحد غير رسول الله محمد ﷺ . . . وهل هناك من جاء يصحح للناس عقيدتهم الخاطئة عن المسيح عيسى ﷺ وقد جعلوه إلها بل زعموا أنه الله عز وجل إلا محمداً ﷺ ؟ من بعد عيسى ﷺ بين ضلال من أشرك بالمسيح من النصارى وفصله غير محمد ﷺ فاهتدى على هذه معظم نصارى زمانه؟ ومن الذى جاء فمجد عيسى والأنبياء ودفع عنهم إفتراءات اليهود بأن منهم من عبد الأصنام أو إرتكب الفواحش أو سرق أو سكر. . . . ودفع إفتراءات اليهود عن المسيح وعن أمه عليهما السلام. . . ومن الذى جاء فبين للناس ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن الله قد غفر لآدم، وأن خطيئته لا يتحملها أبناؤه، وأن الإنسان يولد على الفطرة لا يحمل ذنب أحد من قبله؟ ومن بين للناس أوجه البر وأنذرهم يوم الدينونة والحساب؟ وجعل الخوف من الحساب ويوم الدينونة أصل كل الأعمال الصالحة، ومن الذى جاء بعد عيسى ﷺ فأخبر أن تعاليمه للناس هى الأخيرة من عند الله وهى بالتالى أبدية ولن تنسخ؟ ومن هذا النبى الذى جاء بعد عيسى أمياً لا يقرأ بل يتلقى الوحى سماعاً؟ ويقول للناس: إنه لا ينطق عن نفسه بل عن وحى من الله عز وجل : ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٣-٤] ؟ ومن أخبر الناس بأحداث قادمة ونبوءات وحياً من الله لا تخرصاً؟

إن الذين فسروا الباركلتيوس بالمنافح والشفيع والمخفف (Comforter) قالوا: بأنه هو الذى يتولى التخفيف والدفاع عن الناس بالشفاعة أمام الملك. فمن غير محمد ﷺ مستحق لهذا اللقب؟ ومن هذا النبى الذى أخبر أن ليس بعده نبى، وأن الشريعة التى جاء بها لن يلغيها من بعده أحد إذ لا نبى بعده، فكان كل ذلك من بعده كما أخبر به تماماً، مع أن الأنبياء لم يكادوا ينقطعوا من قبله إلا

من الفترة التى سبقته مباشرة؟ فأنى له أن يمنع ظهور الأنبياء من بعده وقد مضى ألف وأربعمائة عام ولم يأت منتظر سواه.... ومن غير رسول الله محمد ﷺ؟(١).

تفنيد زعم باطل:

ولقد أراد النصارى صرف هذه البشارة عن مرادها، فزعموا أنها تعنى روح القدس، وأن النبوءة تحققت عندما زارتهم روح القدس مرة بعد المسيح ويعلم المنصفون أن هذه قصة لا سند لها، ثم إن الروح التى زعموا أنها زارت جماعة منهم لم تمكث معهم إلى الأبد، ولم تبين للعالم ضلال عقيدته عن الله وعن المسيح وعن الخطيئة والبر ويوم الدينونة، ولا تنطبق بقية الصفات أعلاه عليها ثم كيف وهم يؤلهونها والذى بشر به المسيح عليه السلام من بعده يوصف بالأمية وبأنه لا ينطق من ذات نفسه بل مما يوحى إليه، ثم إن الروح لا يحمل إسمها معنى المحمود أو المشكور! ثم إنها لم تسم هنا بروح القدس بل سميت روح الحق، وقد أثبت بعض الباحثين عدم أصالة حتى هذه التسمية بالنص وأن لفظ «القدس» المضاف إلى عبارة «روح القدس» هى من التحريف المتعمد ولا وجود لها بالنسخ القديمة.

كما أن «روح الحق» تعنى نبياً إنساناً على حق، وهذا على إستعمال يوحنا نفسه صاحب إنجيل يوحنا، حين ذكر في رسالته الأولى بالإصحاح ٤ : ١ تحذيره من إتباع الأنبياء الكذبة، فقال: «أيها الأحبة لا تصدقوا كل روح بل إمتحنوا الأرواح هل هى من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله»، وقال في عدد ٦ من نفس الإصحاح. «من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال». وواضح أن يوحنا يتحدث هنا عن النبى الحق الذى بشر به المسيح عليه السلام وتمييزه عن الأنبياء الكذبة الذين حذر منهم المسيح عليه السلام. ولا معنى للحديث عن تمييز روح القدس عن الأنبياء الكذبة فليس ذلك ما يريد.

---

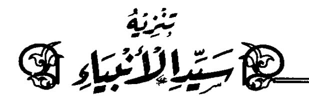
(١) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب.

إن إدعاء مونتانوس بأنه الباركلتيوس المنتظر عام ١٥٠ بعد الميلاد وغيره كثيرين ليدل على فهم الأجيال الأولى من النصارى لدلالة التبشير بالباركلتيوس على أنها تخص نبياً منتظراً.

ومما ينفى صحة التفسير بأن المقصود بهذه البشارة روح القدس ما جاء في البشارة أن هذا الباركلتيوس لن يجتمع بالمسيح، ولن يأتى إلا من بعد ذهاب المسيح «لكنى أقول الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا ياتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله لكم، ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطيه وعلى بر وعلى دينونه».

هذا وهناك أدلة ظاهرة كثيرة لا تكاد أن تحصى من التوراة وملحقاتها على أن روح القدس هو الملك الذى ينزل بالوحى على الأنبياء وهو جبريل عليه السلام، وعلى مثل ذلك جاءت تسميته بالقرآن الكريم، فإن روح القدس كان يدعم المسيح عليه السلام ويؤيده في حياته طول دعوته، فقد جاء في لوقا ٤ : ١ «أما يسوع فعاد من الأردن ممتلئاً من الروح القدس». وفى لوقا ١ : ٨٠ إشارة كذلك إلى دعمه بروح القدس من صغره: «وكان الطفل ينمو ويتقوى بالروح». وجاء في القرآن ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ [البقرة: ٨٧] وفى الواقع فإن الأنبياء جميعاً فيما نرى نزل عليهم روح القدس وأيدهم، وإن كان هذا الدعم قد ذكر بالإسلام تخصيصاً لعيسى ومحمد ﷺ وفى الواقع أن هذا الدعم بشكل غير واضح قد تم حتى لغير الأنبياء، ومن هنا يأتى معنى قول رسول الله ﷺ للشاعر حسان بن ثابت «**إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله**».

وأختم هنا بتنبيه القارىء إلى أنه لا يضير هذه البشارة اللغة التأليهية التى وردت بها، فكان عيسى عليه السلام المتحدث بأن البركليلتوس سيكون أخيراً للناس



فكأنه هو الذي سيرسله للناس.... فهذه إنما تعكس أثر عقيدة من تناقل البشارة على ألفاظ البشارة، وتظل بعد ذلك المعاني المرادة بينه كما بينا[١].

مصداق ذلك في كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ:

فى الإنجيل: «إذا جاء الفارقليط (المعزى) الذى يرسله أبى فهو يشهد لى».

فى القرآن: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف: ٦].

فى إنجيل: «فهو يشهد لى».

فى القرآن: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فى الإنجيل: «ليمكث معكم إلى الأبد».

فى القرآن: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

في الإنجيل: «لن يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث».

في القرآن: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

في الإنجيل عن النبي المنتظر الخاتم «أنه يخبركم بكل ما يأتي».

في السُّنَّة عنه ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى**».

في الإنجيل: «ولست أدعكم أيتاماً إني سآتيكم عن قريب».

---

(١) إظهار الحق، لرحمة الله هندي.

وفي السُّنَّة قال عليه الصلاة والسلام «**ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية**».

وفى حديث آخر «**كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها**»(١).

بشارة سفر أشعيا بالنبى ﷺ:

سفر أشعيا: ٤٢

«هو ذا عبدى الذي أعضده مختارى الذي سرت به نفسي، وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته»(٢).

التعليق:

من غير رسول الإسلام محمد ﷺ مؤهل لهذه الصفات؟

هو المختار (مختارى) أو المصطفى كما ذكرت من قبل، والمصطفى من أسمائه وألقابه المشهورة... هو الذى أعلن منذ اللحظة الأولى في دعوته أنه رسول لكل الأمم (فيخرج الحق والعدل للأمم)... ولم يكن ذلك لأى نبى قبله بما فيهم عيسى عليه السلام الذى نقلت عنه الأناجيل الحالية إعلانه أن دعوته خاصة ببنى إسرائيل... وهو صاحب اللقب «عبد الله» في الوحى. ولم يشتهر أحد بهذا اللقب أو يعرف به – وإن كان الجميع عبيد لله – إلا رسول الإسلام محمد ﷺ وهو النبى الذي اشتهر بأخلاقه وكمال أدبه وإن كانت أخلاقهم جميعاً عالية عليهم السلام.

مصداق ذلك في الكتاب والسنة:

■ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) هداية الحيارى لإبن القيم.

(٢) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب، دار الكتاب المقدس.

■ في البخاري عن عطاء عن ابن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً. وجاء في مستدرك الحاكم عن عائشة رضي الله عنها: «إن رسول الله ﷺ مكتوب في الإنجيل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح» وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه... وواضح أن عائشة رضي الله عنها لا تعلم شيئاً من التوراة مباشرة، ولكن هذه البشارة كانت مما شاع بين المسلمين نقلاً عمن أسلم من أهل الكتاب كما ورد في روايات أخرى عديدة[١].

ثالثاً/ البشارة بموطن الرسالة القادمة:

سفر التثنية ٣٣: / ٢–٣ :

النص: «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران» «عشرة آلاف قديس معه»[٢].

التعليق:

فاران هى مكة حيث تذكر التوراة أن إسماعيل عليه السلام تربى ونشأ بفاران (وسكن – أي إسماعيل – في برية فاران) التكوين ٢١:٢١، وعلى هذا فيمكن القول: أن الوحي سينزل مستقبلاً على أحد أبناء إسماعيل من سكان فاران. ومعلوم أنه لم يظهر ولم يدع النبوة أحد من أبناء إسماعيل سوى رسول الله

(١) تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب.
(٢) المصدر السابق.

محمد ﷺ ..... فهذا تبشير واضح بنبوته، ليس فيه لبس، بغض النظر عن الموقع الثالث للوحى.

ومن الواضح أن هذه النبوة متضمنة للنبوات الثلاثة: فمجيئه تعالى من سيناء هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ونبأه عليه أخباره من نبوته، وتجليه من ساعير من مظهر المسيح من بيت المقدس، و« ساعير » قرية معروفة هناك إلى اليوم، وهذه بشارة نبوة المسيح. و« فاران » هى مكة. وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصباح، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه، ونبوة خاتم الأنبياء بعدها باستعلاء الشمس وظهور ضوئها في الآفاق، ووقع الأمر كما أخبر به سواء، فإن الله سبحانه وتعالى صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء وإستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه(١).

مصداق ذلك من كتاب الله:

قوله تعالى: ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ** ﴾ [التين: ١-٣]، فذكر أمكنة هؤلاء الأنبياء وأرضهم التى خرجوا منها ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ** ﴾ والمراد بها منبتها وأرضهما وهى الأرض المقدسة التى هى مظهر المسيح ﴿ **وَطُورِ سِينِينَ** ﴾ الجبل الذى كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته، و﴿ **وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ** ﴾ مكة حرم الله وأمنه التى هى مظهر نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم.

وفى فتح مكة دخلها ﷺ ومعه عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار مصدقاً ما في التوراة « عشرة آلاف قديس معه »(٢).

هكذا - أيها القارئ الكريم - وما تركناه من نصوص أهل الكتاب في البشارة بالإسلام والنبي ﷺ أكثر وأكثر - ولكن فيما قلناه بحمد الله الغنية والكفاية.

---

(١) هداية الحيارى لإبن القيم.

(٢) المصدر السابق، تباشير الإنجيل والتوراة لنصر الله أبو طالب.



خاتمـة
(نسأل الله حسنها)

وبعد أيها القارىء الكريم، لقد وضع أمامك جهد المقل، ولكن أسأل الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً للقراء المسلمين وغير المسلمين، أما نفعه للمسلمين فعسى الله أن يثبتهم ويطهر قلوبهم من شك أو شبهة حول نبيهم ﷺ .

وأما غير المسلمين من أهل الكتاب فعسى الله أن يهديهم للحق الذى بشرت به كتب أهل الكتاب وأما غير المسلمين من الملحدين والوثنين فعسى الله أن يخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان والتوحيد .

هذا، وما توصلت إليه من رد على مطاعن السفهاء في سيد الأنبياء ﷺ ، فهو غيض من فيض مما يليق بجناب النبى الكريم ﷺ ، وإلا فإن تنزيه النبى الكريم عليه السلام لا تكفيه المجلدات ومقامه الطاهر لا تفى به الألسن الفصيحات . لهذا سوف تجد تقصيراً وقصوراً في ردي بلا شك عند الغير الإضافة عليه . ولكن أسأل الله أن لا يكون قصوراً في نيتى وقصدى، وأن يحقق الله مرادى وأنال به شفاعة سيد الأنبياء ومرافقة الرسل الأتقياء والثبات على الحق حتى يوم اللقاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم بفضل الله في غرة المحرم ١٤٢٧هـ

وكتبه
الدكتور/ ياسر عبد القوي

المراجـع

- الصارم المسلول لإبن تيمية.
- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ للصابونى.
- إظهار الحق لحمة الله هندى.
- فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا.
- هداية الحيارى لإبن القيم.
- محاسن تعدد الزوجات لهاشم إبن حامد الرفاعى.
- دار الكتاب المقدس.
- المرأة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعى.
- إبن القيم فى إغاثة اللهفان.
- حاشية السندى على النسائى.
- فيض القدير للمناوى.
- التمهيد لإبن عبد البر.
- فتح البارى شرح صحيح البخارى.
- محمد رسول الله لمحمد صادق عرجون.
- دور المرأة فى خدمة الحديث لآمال قرداش.
- موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.
- مغازى الواقدى.
- السيرة الحلبية.
- أحكام القرآن لإبن العربى.
- تفسير القاسمي.

- عمدة القارى بشرح صحيح البخارى.
- تفسير التحرير والتنوير لإبن عاشور.
- مختصر المزنى.
- تفسير القرطبى.
- أحكام القرآن للجصاص.
- مسائل من فقه الكتاب والسنة للأشقر.
- عون المعبود شرح سنن أبى داود.
- مرقاة المفاتيح للملا على القارى.
- تهذيب التهذيب لإبن حجر.
- البداية والنهاية لإبن كثير.
- ماذا خسر العالم للندوى.
- مجموع الفتاوى لإبن تيمية.
- أضواء البيان للشنقيطى.
- زاد المعاد لإبن القيم.
- السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمرى.
- دواعى الفتوحات الإسلامية لجميل المصرى.
- تاريخ الطبرى.
- الكشاف للزمخشرى.
- تفسير الرازى.
- النبوات لإبن تيمية.
- الخبر اليقين لأحمد أبو الشباب.
- صحيح مسلم.
- معترك الأقران للسيوطى.

- صحيح إبن حبان .
- السيرة النبوية لإبن هشام .
- السيرة النبوية للصلابى .
- أشراط الساعة للغامدى .
- السلسلة الصحيحة للألبانى .
- إرشاد العقل السليم لأبى السعود .
- تفسير البيضاوى .
- تفسير البغوى .
- سبل السلام للصنعانى .
- تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله ﷺ لنصر الله أبو طالب .
- محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل .
- صحيح البخارى .
- مسند الإمام أحمد (تحقيق أحمد شاكر) .
- سنن الترمذى .
- تفسير إبن كثير .
- تفسير الشوكانى .
- موافقة الخبر للخبر لإبن حجر .
- إرواء الغليل للألبانى .
- مشكاة المصابيح (تحقيق الألبانى) .
- التوسل للألبانى .
- صحيح الجامع للألبانى .
- تفسير الطبرى .
- تفسير ابن عطية .



فهرس

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة



فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠